

عجائب تسبيح الطيور والحيوانات
﴿.. ولكن لا تفقهون تسبيحهم ..﴾
د / محمد وهدان



بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾

[سورة الاسراء : ٤٤]

صدق الله العظيم

الله ربى لا أريد سواه

الله ربى لا أريد سواه

هل فى الوجود حقيقة إلاه

الشمسُ والبدرُ من أنوارِ حِكْمَته

والبرُ والبحرُ فيضٌ مِنْ عطاياه

الطيرُ سبّحه والوحش مجّده

والموج كبّره والحوت ناجاه

والنملُ تحت الصخورِ الصمِ قدسّه

والنحلُ يهتف حمدًا فى خلاياه

والناس يعصونه جهرًا فيسترهم

والعبدُ ينسى وربى ليسِ ينساه

الناشر
الجمعية المصرية لرعاية المواهب
٤٣٦ ش الترعة البولاقية - شبرا مصر
ت ٤٣١٤٨٩٧

قبل أن تقرأ هذا الكتاب :

إلجأ إلى الله .. عندما تضيق بك الدنيا

عندما تضيق بك الدنيا .. وعندما تغلق فى وجهك كل الأبواب .. وعندما يتنكر لك الجميع .. تأكد أن هناك بابا واحدا مفتوحا طوال ٢٤ ساعة وهو باب الله الرحمن الرحيم .

ففى أى وقت تستطيع أن تدخل من هذا الباب .. فقط كل ما هو مطلوب منك أن تتوضأ .. وتدخل فى الصلاة .. فأنت بهذا فى لقاء مع ربك الرحمن الرحيم ..

بينك وبين الحق عز وجل خط تليفونى ساخن .. عندما ترفع السماعة .. لا تجد من يقول لك : الخط مرفوع من الخدمة أو جميع الخطوط مشغولة .. ولكن عندما تكلم ربك عز وجل وتقول له : أذنبت يا ربى فيجيبك الله عز وجل: يا عبدى وأنا قد غفرت فتقول : يا رب عصيت وارتكبت الآثام فيجيبك الله عز وجل ويقول لك : وأنا قد سترت يا عبدى : من الذى وقف على بابنا فطردناه . يا عبدى أطعتنا فقربناك وعصيتنا فأمهلناك وإن رجعت إلينا بعد ذلك قبلناك . فإذا اصطلح العبد مع ربه سطع نور بين السماء والأرض ونادى مناد من قبل الله عز وجل : أيتها الخلائق هنئوا فلانا بن فلان فقد اصطلح مع الله رب العالمين .

إن إعرابيا تعلق بأستار الكعبة ولجأ إلى ربه عز وجل وأخذ يناديه ويقول: يارب العالمين : إنى لجأت إليك فهذه ابنتى عريانة كما ترى وزوجتى جائعة كما ترى وناقتى جائعة كما ترى فماذا ترى يا ربنا فيما نرى :

وفجأة اقترب منه رجل وأعطاه ما معه من دراهم فرفض أن يأخذها وقال له : لقد طلبت من الله عز وجل وهو أوسع منك يدا وفجأة اقترب منه رجل آخر وقال له : أأنت فلان ؟ قال : نعم قال له : إن عمك قد مات اليوم . وقد ترك مائة ناقة وألف أوقية من ذهب وأنت وارثه الوحيد . فتعال فخذها .

وهذه نملة صغيرة عندما جاعت ولم تجد ماء وطعاما لجأت إلى الله سبحانه وتعالى . فقد خرج سيدنا سليمان عليه السلام مع قومه لأداء صلاة الاستقساء . فوجد نملة مستلقية على قفاها وتنادى على ربها عز وجل وتقول له : يا رب العالمين إنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة . فلا تهلكنا بذنوب بنى آدم يا رب العالمين . فقال لهم سليمان عليه السلام : أبشروا فقد كفيتم بدعاء نملة .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

.. والسبب .. دودة خضراء !

الحمد لله رب العالمين .. سبحانه لا تراه العيون .. سبحانه لا تخالطه الظنون .. سبحانه لا يصفه الواصفون .. سبحانه يعلم مثاقيل الجبال ، سبحانه يعلم مكاييل البحار ، سبحانه يعلم عدد قطر الأمطار ، سبحانه يعلم عدد ورق الأشجار سبحانه يعلم عدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار .

سبحانه تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ، إنه كان حليما غفورا .

وأصلى وأسلم على سيدنا رسول الله ﷺ القائل « أنا سيد آدم ولا فخر » اللهم صل وسلم وبارك عليك يا سيدى يا رسول الله وعلى آلك وأصحابك ومن سار على نهجك ومشى على دربك ، وتتبع منوالك إلى يوم الدين .

أما بعد ..

فحكاية عجيبة .. دفعتنى لتأليف هذا الكتاب « ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

كنت مسافرا إلى مدينة دمياط الجديدة للتدريس لطلاب قسم الإعلام التربوى بكلية التربية النوعية .. وعلى الطريق السريع وقفت أنتظر أتوبيسا أو سيارة توصلنى إلى الكلية .

لفت نظرى تحت قدمى وجود دودة خضراء صغيرة – لم أر مثلها قبل ذلك – تريد أن تعبر هذا الطريق السريع إلى الجهة الأخرى ..

والحق أننى تسمرت مكانى .. وقلت إن هذه الدودة ستموت لا محالة ، وقلت لنفسى : لابد أننى بعد قليل سوف أراها ، وقد تحولت إلى ذرات صغيرة من كثرة السيارات المتجهة إلى دمياط الجديدة .. ناهيك عن السيارات الضخمة ذات المقطورة المتجهة إلى ميناء دمياط .

ووجدت الدودة تعبر الطريق متوكلة على ربها ، طالبة منه الستر والنجاة ، ورأيت بعينى رأسى – السيارات الضخمة وهى تسير بجوارها ، وما خافت الدودة .. وما عادت للخلف .. وكأنها قبل أن تعبر الطريق حفظت ووعت قول الشاعر :

وإذا العناية لا حظتك عيونها ∴ نَمْ فالمخاوف كلهن أمان

العجيب أن قلبى أصبح يدق بسرعة عندما وصلت الدودة الخضراء إلى منتصف الطريق .. وحدثتنى نفسى : لابد أنها ستموت عما قليل .. ولكن طوال ثلاث دقائق كاملة .. لم تمر على الطريق سيارة واحدة لأن الله كتب لهذه الدودة النجاة .. لقد كان الله عز وجل معها .. ومن كان الله معه ، فلا ولن يخيب أبداً ، ولن يضره شئ .

وعندما أوشكت الدودة على العبور فوجئت بسيارة ضخمة بمقطورة تعبر الطريق .. وتصببت عرقا فى عز الشتاء ، وشعرت كأن السماء قد انطبقت على الأرض وكأننى أتنفس من ثقب إبرة ، وتنفست الصعداء بعد أن وجدت السيارة ذهبت بعيدا .. والدودة ما زالت حية ترزق .

وكدت أبكى حينما وجدت الدودة الخضراء تقف قرب الرصيف وترفع رأسها إلى أعلى ، ومن المؤكد أنها كانت تشكر ربها عز وجل بلغة لا أعرفها وكيفية لا أفهمها .

وساعتها تمنيت أن أكون نبى الله سليمان الحكيم عليه السلام ولو لمدة نصف دقيقة .. لأعرف .. كيف شكرت هذه الدودة ربها ؟ لولا أننى تذكرت على الفور دعاء سيدنا سليمان عليه وعلى نبينا السلام « رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب » .

لقد أعطتنى هذه الدودة الصغيرة درساً عظيما فى التوكل على الله وأنه إذا كانت عناية الله معك ، فلن يغلبك غالب ، وذكرتنى هذه الدودة بموقف السيدة مريم ابنة عمران الطاهرة الكريمة حينما جاءت لقومها تحمل المسيح عليه السلام ، على كتفها وجاءها رجل صالح اسمه « يوسف النجار » وقال لها: يا مريم .. إن فى النفس شيئا .

قالت السيدة مريم : قل ما بدا لك يا يوسف ؟

فقال لها : يا مريم .. أينبت زرع بدون ماء ؟ سؤال مهذب ومؤدب من يوسف النجار ، إنه يقول لها يا مريم : من أين أتيت بهذا الولد من غير زواج ؟

فقالت السيدة مريم : من الذى خلق الزرع ؟

قال يوسف النجار : الله سبحانه وتعالى ..

فقالت السيدة مريم : ومن الذى خلق الماء ؟

قال يوسف النجار : الله سبحانه وتعالى ..

فقالت السيدة مريم : يا يوسف : إن الذى خلق الماء .. وخلق الزرع لقادر على أن ينبت الزرع بدون ماء .

نعم .. فالله على كل شئ قدير .. وهو الذى خلق الأسباب والمسببات وقادر على أن يسبب الأسباب بدون مسببات ، والمسببات بدون أسباب .. فتبارك الله الذى خلق فسوى وقدّر فهدى .. تبارك الله رب العالمين .

ولما عدت إلى بيتى بحثت فى عالم الحيوان والحشرات وسائر الدواب .. وكيف يسبح بحمد الله .. وهالنى ما قرأت .

كانت البداية مع الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .. مع القرآن الكريم .. ومع سورة الإسراء حيث يقول الله تعالى :

﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا ﴾ . «**الإسراء:٤٤**»

يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية : أى وما من شئ من المخلوقات إلا يسبح بحمد الله ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم أيها الناس لأنها بخلاف لغاتكم وهذا عام فى الحيوانات والجمادات والنباتات .

فالجبال تسبح بحمد الله بنص القرآن الكريم حيث يقول الله عز وجل فى معرض امتنانه على نبيه داود عليه السلام ﴿ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق ﴾ سورة «**ص:١٧، ١٨**»

وذكر ابن المبارك فى « دقائقه » قول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: ان الجبل يقول للجبل : يا فلان : هل مر بك اليوم ذاكر لله عز وجل ؟ فإن قال: نعم .. سرّ به ، ثم قرأ عبد الله بن مسعود قوله تعالى ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا ، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ﴾ سورة «**مريم:٩٠- ٩٢**»

وحتى الحجارة أيضا تسبح بحمد الله عز وجل بنص قوله تعالى : ﴿ وإنّ منها لما يهبط من خشية الله ﴾ سورة «**البقرة:٧٤**»

ويقول عليه الصلاة والسلام : « لا يسمع صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شجر ولا حجر ولا مدر ولا شئ إلا شهد له يوم القيامة » (رواه ابن ماجه فى سننه) ، وفى صحيح مسلم يقول الرسول ﷺ : « إنى لا أعرف حجراً بمكة يسلمَ علىّ قبل أن أبعث ، إنى لأعرفه الآن » .

والطعام الذى نأكله يسبح بحمد الله أيضا ، فقد جاء فى صحيح البخارى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال :

« لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل » وفى رواية أخرى قال : « كنا نأكل مع رسول الله ﷺ الطعام ونحن نسمع تسبيحه » .

والخلاصة أن كل المخلوقات فى البر والبحر وعالم الملكوت الأعلى تسبح بحمد ربها ، وتعبده وتعترف بوجوده وتتوكل عليه وتلجأ إليه ولسان حالها يقول ﴿ غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾ .

المخلوق الوحيد الذى يعصى ربه عز وجل ، ولا يلتزم بمنهج الله – للأسف – هو الإنسان .. لماذا ؟

لأنه ظلوم .. وجهول .. وكفارٌ كما وصفه الله سبحانه فى القرآن الكريم ، وقد كان واجبا على الإنسان الذى كرمه الله على سائر مخلوقاته أن يسير على منهج الله فيعبده لا عبادة العبيد الذين عبدوه رهبة ، ولا عبادة التجار الذين عبدوه رغبة ، وإنما يعبده عبادة الأحرار الذين يعبدونه شكراً .

إننى أدعوكم جميعاً لتتعلموا من دواب الأرض الأخرى .. أدعوكم جميعاً لتتعلموا النظام وتطبيق أسس الإدارة الحديثة من أمة النحل .

والإخلاص فى العمل من أمة النمل .

والاجتهاد فى الطاعة من أمة الضفدع .

والصبر على الشدائد من أمة الإبل .

والعدل بين الزوجات من أمة الديوك .

والـقـنـاعـــــــــة من أمة العناكب .

وطاعــة ولى الأمــر من أمة الجراد .

والنوم الخـــفـــيف من أمة الدجاج .

والوفـــاء الجـــمـــيل من أمة القمرى والكلاب .

والرضــــا بالـقليل من أمة الضب .

والحـــذر من العـــدو من أمة الحيات والظباء .

وتذكــر الموت دائمــا من أمة النسور .

والشـجـاعـة والإقـدام من أمة الأسود والقُبرة .

والحق أنه لولا توفيق الله عز وجل لى ما كان هذا الكتاب ، فالله عز وجل لا يبخل أبداً على طالب علم قصد بعلمه باب وجه الله الكريم .. فلقد كنت أشعر وأنا أكتب صفحات هذا الكتاب أن عنايته عز وجل معى ، وأن عينه – سبحانه – التى لا تنام .. تحرسنى ، وأن ركنه – تبارك وتعالى – الذى لا يرام .. يكنفنى .

فشكرا لربى سبحانه وتعالى الذى أعطانى من الخير والآلاء ما لا يعد ولا يحصى .

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة .

الحمد لله على نعمة الإيمان وكفى بها نعمة .

الحمد لله على نعمة الستر وكفى بها نعمة .

الحمد لله على كل ما أعطانيه ربى سبحانه وتعالى .

وعملا بالقول المأثور « من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، فإنه أجد لزاماً على أن أتوجه بشكرى وتقديرى لكل من ساعدنى فى اعداد هذا الكتاب ، وأخص بالذكر زوجتى « أم عز الدين ، فلقد كانت تحفزنى دائما لإتمام هذا الكتاب ، وكانت دعواتها لى مع صلاة الفجر نورا يضئ لى طريقى .. فجزاها الله خيرا .

وقبل أن أتركك مع بديع صنع الله فى مخلوقاته .. أطلب منك – أخى القارئ – الدعوات الصالحات .. بأن يسترنا الله فى الدنيا والآخرة ، وأن يجعل هذا الكتاب فى ميزان الحسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ..

د. محمد شعبان وهدان

كلية الدراسات الاسلامية
والعربية للبنات بالقاهرة
جامعة الأزهر

اللهم لا تؤاخذنا .. بذنوب عبادك

ماذا تقول النملة .. فى دعائها ؟

روى الدارقطني والحاكم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : لا تقتلوا النملة . فإن سليمان عليه السلام خرج ذات يوم يستسقى فإذا هو بنملة مستلقية على قفاها رافعة قوائمها تقول :

اللهم إنا خلق من خلقك لا غني لنا عن فضلك . اللهم لا تؤاخذنا بذنوب عبادك الخاطئين . واسقنا مطرا تنبت لنا به شجرا وتطعمنا به ثمرا . فقال سليمان لقومه : ارجعوا وأبشروا فقد كفيتم بدعاء نملة . !

والنمل معروف ، وسميت النملة بهذا الاسم لتنملها وهو كثرة حركتها ، وقلة قوائمها، والنمل لا يتزاوج ولا يتناكح ، إنما يسقط منه شئ حقير فى الأرض ، فينمو حتى يصير بيضا حتى يتكون منه ، والبيض كله بالضاد المعجمة الساقطة ، إلا بيظ النمل فإنه بالظاء .

والنمل – كما يقول الدميرى فى « حياة الحيوان » عظيم الحيلة فى طلب الرزق ، فإذا وجد شيئا أنذر الباقين ليأتوا إليه ، ومن طبعه أنه يحتكر قوته فى زمن الصيف لزمن الشتاء .. وله فى الاحتكار من الحيل ، إنه إذا احتكر ما يخاف انباته قسمه إلى قسمين .

ويقول علماء الحشرات إن حياة النمل ليست من قبل ما يأكله ولا قوامه ، وذلك لأنه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ، لكنه مقطوع نصفين : إنما قوته إذا قطع الحب فى استنشاق ريحه فقط وذلك يكفيه .

ومن بديع صنع الله فى النمل أنه يحفر قريته بقوائمه وهى ست ، فإذا حفرها جعل فيها تعاريج لئلا يجرى إليها ماء المطر ، وربما اتخذ قرية فوق قرية بسبب ذلك ، وإنما يفعل ذلك خوفا على ما يدخره من البلل .

يقول الإمام البيهقى فى « الشعب » : كان عدى بن حاتم الطائى يفتت الخبز النمل، ويقول : إنهن جارات لنا ، ولهن علينا حق الجوار .

وليس فى الحيوان كله ما يحمل ضعف بدنه مرارا سوى النمل ، على أنه لا يرضى بأضعاف الأضعاف ، حتى أنه يكلف حمل نوى التمر ، وهو لا ينتفع به ، إنما يحمله على حمله الحرص والشره وهو يجمع غذاء سنين ، مع أن متوسط عمره لا يزيد على سنة واحدة .

نوادر الأصول :

وفى الصحيحين وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجه وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : نزل نبى من الأنبياء عليهم السلام تحت شجرة فلدغته نملة ، فأمر بجهازه فأخرج من تحتها ، وأمر بها فأحرقت بالنار، فأوحى الله إليه : فهلا نملة واحدة .

يقول الترمذى فى نوادر الأصول : لم يعاتبه الله على تحريقها وإنما عاتبه على كونه أخذ البرئ بغير البرئ ، وقال القرطبى : هذا النبى هو موسى عليه السلام .. وإنه قال يا رب تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطائع ، فكأنه جل وعلا أراد ان يريه ذلك من عنده ، فسلط عليه الحر حتى التجا إلى شجرة مستروحا فى ظلها ، وعندها قرية النمل ، فغلبه النوم ، فلما وجد لذة النوم لدغته نملة ، فدلكهن بقدمه فأهلكهن وأحرقهن .

فأراه الله تعالى الآية فى ذلك عبرة لما لدغته نملة ، كيف أصيب الباقون بعقوبتها، يريد الله تعالى أن ينبهه على أن العقوبة من الله تعم الطائع والعاصى ، فتصير رحمة وطهارة وبركة على المطيع ، وسواء ونقمة وعذابا على العاصى .

حكاية المأمون :

ويروى أن رجلا استوقف المأمون ليسمع منه فلم يقف له ، فقال : يا أمير المؤمنين: « إن الله استوقف سليمان بن داود عليهما السلام لنملة لكى يستمع إليها ومنها وما أنا عند الله بأحقر من نملة ، وما أنت عند الله بأعظم من سليمان .

فقال له المأمون : صدقت ووقف له وسمع له وقضى حاجته .

بقى أن يقال أن من يرى النمل فى المنام على فراشه كثرت أولاده ، ومن رأى النمل خرج من داره نقص عدد أهله .

والنمل عموما يدل على مكان فيه خصب ورزق لأنه لا يكون إلا فى مكان فيه رزق .

والنمل .. يعرف ربه ويسبحه آناء الليل وأطراف النهار بلغة لا يعرفها إلا الله رب العالمين .. وليس أدل على ذلك من تلك القصة الطريفة التى روتها لنا كتب السيرة .. حيث تقول :

إن سليمان عليه السلام طلب من الله عز وجل أن يتولى رزق بعض مخلوقات الله فقال له مولانا عز وجل : إنك لا تستطيع ذلك ، فقال له الحق عز وجل لك ما شئت .

أتى سليمان بنملة صغيرة وقال لها كم تأكلين فى العام الواحد فقالت له : آكل حبتين من القمح فقط .. فجاء لها بالحبتين .

وعاد إليها بعد انقضاء العام فوجدها قد أكلت حبة واحدة فقط وادخرت الأخرى فتعجب نبى الله سليمان وسألها عن أسباب ذلك فقالت : إننى فى العام الماضى كنت آكل حبتين معتمدة على أن الله عز وجل سوف يرزقنى بغيرهما ، لكنك لما توليت رزقى أكلت واحدة وادخرت الأخرى فأنا لا أدرى إن كنت سوف تعيش أو ستموت !!

إنك لو فكرت فى مجارى أكل النملة فى علوها وسفلها وما فى الرأس من عينها وأذنها .. لقضيت من خلقها عجبا أو للقيت من وصفها تعبا ، فتعالى الذى أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه فى فطرتها فاطر ، ولم يعنه على خلقها قادر لا إله إلا هو ولا معبود سواه .

إن نملة سليمان عليه السلام نادت على قومها وقالت لهم : ﴿ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ﴾ سورة النمل : ١٨ ،

يقول العلماء : إن النملة جمعت فى هذه الآية عشرة أجناس من الكلام ، فقد نادت النملة فى قولها ، يا ، ونبهت فى قولها ، أيها ، وسمت فى قولها ، النمل ، وأمرت فى قولها ، ادخلوا ، ونصحت فى قولها ، مساكنكم ، ونهت فى قولها ، لا يحطمنكم ، وخصت فى قولها ، سليمان ، وعمت فى قولها ، وجنوده ، وأشارت فى قولها ، وهم ، وأعذرت فى قولها ، لا يشعرون ، .

ويقول المفسرون : أن نبى الله سليمان عليه السلام قال للنملة أيتها النملة أخفت منى ظلما حتى نصحت قومك بالابتعاد عنى ؟

قالت لا : ولكنى خفت على قومى أن يفتنوا بما يرون من جمالك وزينتك فيشغلهم ذلك عن طاعة الله رب العالمين .

فتعجب نبى الله سليمان وقال لها : عظينى أيتها النملة ؟ فقالت له : أتدرى : لم سمى أبوك داود ؟ فقال لها : لا أدرى فقالت له : لأن الله عز وجل داوى به كل جروح الفؤاد .. أتدرى لم سميت سليمان فقال : لا أدرى أيتها النملة فقالت له : لأنك سليم القلب والنية .. تنام وليس فى قلبك مثقال ذرة من حقد على أحد فتعجب نبى الله سليمان وقال : ﴿ رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين ﴾ . « النمل : ١٩ »

كيف يجتمعان فى الجمل ؟

كنت أقرأ بالأمس فى سورة " الغاشية " .. وتوقفت قليلا أمام قوله تعالى ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ﴾ وسألت نفسى ولعلكم جميعا تتساءلون معى : لماذا ساوى الحق عز وجل بين خلق الإبل وخلق السماء ؟ لماذا لم يقل أفلا ينظرون إلى الخيل مثلا . وهي تجاهد في سبيل الله وأسرع من الجمل ؟ لماذا لم يقل أفلا ينظرون إلى الغنم أو إلى الماعز .. وما إلى ذلك ؟

رجعت إلى تفسير الإمام القرطبى « الجامع لأحكام القرآن » فوجدته يذكر لنا أن الجمل هو المخلوق الوحيد فى هذا الكون الذى أعطاه الحق عز وجل عينا تُضَخّم له الأشياء فيرى الأشياء أضعاف شكلها الأصلى ، وهذا من رحمة الله بنا حتى يسخر لنا الجمل ..

وتخيل لو أن الجمل له عين طبيعية مثل عيون البشر أو المخلوقات الأخرى ، لو حدث هذا ما استطعنا أبدا أن نسخر الجمل لخدمتنا فلنحمد الله على هذه النعمة .

إن الحق عز وجل ساوى بين خلق السماء وخلق الإبل وفيها من الخير ما لا يعد ولا يحصى للفت نظرهم إلى السماء لأن إبلهم تحتاج للطعام والماء ، والماء لا يأتى إلا من السماء فلفت نظرهم إليه ، فسبحانك ربى لك فى كل شئ آية تدل على أنك الواحد ، ومن طلاقة قدرة الله عز وجل أنه أودع فى الجمل الصبر والتحمل والحقد فالجمل يصبر .. لكنه فى ذات الوقت حقود .. وقانا الله جميعا شر الحقد والحاقدين ، يضمر لصاحبه ويخزن له حتى إذا ما جاءت الفرصة انقض عليه .

جمل يشكو :

فى مسند الإمام أحمد والحاكم عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ دخل حائطا لبعض الأنصار فإذا فيه جمل ، فلما رأى النبى ﷺ ذرفت عيناه ، فمسح النبى ﷺ سنامه ، فسكن الجمل ، ثم قال النبى ﷺ : من رب هذا الجمل ؟ فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لى يا رسول الله ، فقال الحبيب المصطفى عليه السلام : ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله إياها فإنه شكا لى أنك تجيعه .

ذات الرقاع :

ويروى الطبرانى عن جابر رضى الله عنه قال : خرجنا مع النبى ﷺ فى غزوة ذات الرقاع ، حتى إذا كنا بحرة واقم [اسم مكان] إذ أقبل جمل يدخل حتى دنا من النبى ﷺ فجعل يرغو على هامته ، فقال رسول الله ﷺ :

إن هذا الجمل يستعدينى على صاحبه ، يزعم أنه كان يحرث عليه منذ سنتين حتى إذا أعجزه وأعجفه وكبر سنه ، أراد نحره ، إذهب يا جابر إلى صاحبه فائتنى به قلت: ما أعرفه ؟ .. فقال : إنه سيدلك عليه .

قال : فخرج الجمل بين يدى معنقا حتى وقف بى فى مجلس بنى حظمة فقلت : أين رب هذا الجمل ؟ فقالوا : هذا لفلان بن فلان .. فجئته فقلت له : أجب رسول الله ﷺ فخرج معى حتى جاء رسول الله ﷺ .

فقال النبى عليه أفضل الصلاة والسلام : إن جملك يزعم أنك حرثت عليه زمانا ، حتى إذا أعجزته وأعجفته وكبر سنه أردت أن تنحره .

فقال : والذى بعثك بالحق : إن ذلك لكذلك ، فقال ﷺ : ما هكذا جزاء المملوك الصالح ثم قال النبى ﷺ « تبيعه » قال : نعم .

فابتاعه منه ، ثم أرسله ﷺ فى الشجر حتى نصب سنامه فكان إذا اعتل على بعض المهاجرين والأنصار من نواضحهم شئ أعطاه إياه فمكث كذلك زمانا .

لسان عربى :

ومن أطرف ما قرأته فى شأن الجمل ما ذكره القشيرى فى « رسالته » وكذلك ابن الجوزى فى كتابه « مثير الغرام الساكن » عن أحمد بن عطاء أنه قال : كنت راكبا جملا فغاصت رجلا الجمل فى الرمل فقلت جل الله .. فقال الجمل بلسان عربى

مبين : جل الله وحكى القشيرى أيضا فى باب ، كرامات الأولياء ، قال : كلمنى رجل فى طريق مكة فقال : إنى رأيت جمالا والمحامل عليها وقد مدت أعناقها فى الليل فقلت : سبحان الله .. سبحان من يحمل عنها ما هى فيه ! فالتفت إلىّ جمل وقال : قل جل الله فقلت : جل الله .

حاسد الجمل :

ويذكر الدميرى فى كتابه ، حياة الحيوان ، أنه كان بخراسان رجل عائن ، حاسد ، فجلس يوما إلى جماعة فمر بهم قطار جمال ، فقال العائن : من أى جمل تريدون أن أطعمكم من لحمه ؟ فأشاروا إلى جمل من أحسنها فنظر إليه الحاسد فوقع الجمل لساعته فوضع الأعرابى صاحب الجمال - وكان صالحا يده على جمله وقال ، بسم الله عظيم الشأن بسم الله شديد البرهان رددت عين الحاسد فى عينه وكبده وكليته وفى أعز الناس لديه ، فقام الجمل سليما وخرجت عين الحاسد اليمنى من وجهه .

ولقد تحدث سيدنا رسول الله ﷺ عن الإبل فقال : «الإبل عز لأهلها ، والغنم بركة والخير معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة ، رواه ابن ماجه ، والإبل من الحيوانات العجيبة وإن كان عجبها قد سقط من أعين الناس لكثرة رؤيتهم لها حيث أنها حيوان عظيم الجسم سريع الانقياد ، ينهض بالجمل الثقيل ويبرك به وتأخذ زمامه فأرة ، فتذهب به إلى حيث شاءت .

وكذلك يتخذ على ظهره بيت يقعد الإنسان فيه مأكوله ومشروبه وملبوسه وظروفه كأنه فى بيته ، ويتخذ للبيت سقف وهو يمشى بكل هذا .

وقد جعل الله للإبل أعناقا طوالا لتحمل الأثقال ، وحين أراد عز وجل بها أن تكون سفائن البر ، منحها الصبر على احتمال العطش حتى أن ظمأها ليرتفع إلى عشرة أيام وجعلها ترعى كل شئ نابتا فى الأرض مما لا يرعاه سائر البهائم وهو بلا شك يسبح الله لكن بلغة لا يفهمها البشر !!

وفى الحديث لا تسبوا الإبل فإنها مما يوسع الله بها على الناس ، لا تسبوا الإبل فإنها من نفس الله تعالى .. أى مما يوسع الله به على الناس ، والإبل أشد الحيوان حقدا ، وفى طبعه الصبر والصولة ، وكل الحيوان له مرارة إلا الإبل ولذلك كثر صبرها وانقادت للإنسان فسبحان الله الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى .

تنام الدجاجة قليلاً

وسميت الدجاجة بهذا الاسم لإقبالها وإدبارها . حيث يقال : دج القوم يدجون دجا ودجيجا إذا مشوا مشيا رويدا فى تقارب خطو . وقيل هو أن يقبلوا ويديروا .

ويقول الأصمعى : من عجيب أمر الدجاجة أنها يمر بها كل السباع فلا تخشاها . فسبحان من ألهمها الشجاعة أمام السباع . وتوصف الدجاجة بقلة النوم وسرعة الانتباه . ولذلك يقال : إن نومها واستيقاظها إنما هو بمقدار خروج النفس ورجوعه . ويذكر البعض أنها تفعل ذلك من شدة الجبن .

وعندما تنظر إلى الفرخ الذى يخرج من البيضة وتتأمل بديع صنع الله عز وجل الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، فالفرخ يخرج من البيضة كاسيا ، ظريفا مقبولا ، سريع الحركة يدعى فيجيب ، ثم هو كلما مرت عليه الأيام حمق ونقص حسنه ، وكيسه وزاد قبحه ، فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان فيه ، إلى أن يصير إلى حالة لا يصلح معها إلا للذبح أو الصياح أو البيض .

• دجاجة مشوية :

ويقول ابن خلكان فى ترجمة الهيثم بن عدى أن رجلا من الأولين كان يأكل وبين يديه دجاجة مشوية ، فجاءه سائل فرده خائبا وكان الرجل مترفا ، فوقع بينه وبين امرأته فرقة ، وذهب ماله وتزوجت امرأته .

فبينما الزوج الثانى يأكل وبين يديه دجاجة مشوية إذ جاءه سائل فقال لامرأته : ناوليه الدجاجة ، فناولته ، ونظرت إليه فإذا هو زوجها الأول !

فأخبرت زوجها الثانى بالقصة ، فقال الزوج الثانى : وأنا والله ذلك المسكين الأول خولنى الله نعمته وأهله لقلة شكره لله رب العالمين .

عند خيمة أعرابى :

ويقول الهيثم : خرجت فى سفر على ناقة فأمسيت عند خيمة أعرابى فنزلت ، فقالت ربة الخباء : من أنت ؟ قلت : ضيف .. قالت : وما يصنع الضيف عندنا .. إن الصحراء لواسعة !!

ثم قامت إلى بر فطحنته وعجنته وخبزته ثم قعدت تأكل ، فلم ألبث أن جاء زوجها ومعه لبن ، فسلم ثم قال : من الرجل ؟ قلت : ضيف .

قال : أهلا وسهلا حياك الله ، وملأ طبقا من لبن وسقانى ، ثم قال : ما أراك أكلت شيئا ، وما أراها أطعمتك .

فقلت : لا والله .

فدخل عليها مغضبا ، وقال : ويلك .. أكلت وتركت الضيف ، قالت : وما أصنع به .. أطعمه طعامي ؟ .

وزاد بينهما الكلام فضربها حتى شجها ، ثم أخذ شفرة وخرج إلى ناقتى فنحرها ، فقلت : ما صنعت عافاك الله !! فقال : والله لا يبيت ضيفى جائعا .. ثم جمع حطبا وأجج نارا .. وأقبل يشوى ويطعمنى ، ويأكل ويلقى إليها حتى إذا أصبح تركنى ومضى فقعدت مغموما .

فلما تعالى النهار .. أقبل ومعه بعير ما يسأم الناظر من النظر إليه وقال : هذا مكان ناقتك .

وخرجت من عنده فضمنى الليل إلى خيمة أعرابى ، فسلمت فردت صاحبة الخباء على السلام وقالت : من الرجل ؟ قلت : ضيف ، قالت : مرحبا بك حياك الله وعافاك ، فنزلت ثم جهزت طعاما لى ومعه دجاجة مشوية ووضعته بين يدى وقالت : كل واعذر .

فلم ألبث أن أقبل أعرابى كريه المنظر ، فسلم فرددت عليه السلام فقال : من الرجل ؟ قلت : ضيف ، قال : وما يصنع الضيف عندنا ؟ ثم دخل على أهله وقال : أين طعامى ؟ .

قالت : أطعمته للضيف ، فقال : أتطعمين طعامى للضيوف ؟ .

ثم تشاجرا ، فضربها فشجها ، فجعلت أضحك ، فخرج إلى وقال لى ما الذى يضحكك ، فأخبرته بقصة الرجل والمرأة اللذين نزلت عندهما قبله ، فأقبل على وقال : إن هذه المرأة التى عندى هى أخت ذلك الرجل ، وتلك المرأة التى عنده أختى .. فنمت الليلة متعجبا .. لتدابير الله عز وجل .

ويبقى أن نقول : أن آذان الدجاجة فى المنام شر ونكد وموت وريش الدجاج فى المنام مال ، وبيض الدجاج يعبر بالنساء لقوله تعالى « كأنهن بيض مكنون » ، والبيضة الواحدة لمن رآها بيده فإن كانت زوجته حاملا ، فإنها تضع بنتا ، وإن كان أعزب تزوج، ومن رأى بيضا نيئا وهو نائم ، فإنه يأكل مالا حراما ، والمطبوخ رزق حلال لكن بتعب !.

جعل الله الشفاء .. فى عسل النحل ؟!

كل المخلوقات تسبح بحمد الله بطريقة لا نعرفها وكيفية لا نفهمها .. فمن الذي علم النملة أن تفلق الحبة قبل تخزينها حتي لا تنبت داخل مسكنها .. ؟ ومن الذي علمها إذا أصاب طعامها البلل . وخافت عليه من الفساد . انتظرت يوما مشمسا حتى يجف . ثم أدخلته فى بيتها ؟ لا جدال إنه الله رب العالمين ..

من الذى علم العنكبوت أن يصنع هذا البيت الرائع الهندسى ليكون مصيدة تقع فيه الفريسة ؟ .. إنه الله رب العالمين .

ومن الذى علم الدجاجة أن تقلب البيض بمنقارها حتى لا يفسد ويموت الكتكوت بداخلها ؟ إنه الله أحسن الخالقين .

ومن الذى أمر الثعبان أن يقضى فترة بيات شتوى لا يخرج فيها ؟ ومن الذى أحياه لكى يعيش مع أن السم يملأ فاه ؟ إنه الله الذى خلق فسوى وقدر فهدى .

تدبر معى – أعزك الله – قوله تعالى ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ﴾ . « النحل : ٦٨ ، ٦٩ »

ولعلك تتساءل : كيف أوحى الله إلى النحل ؟

أوحى الله إلى النحل وحى إلهام كما أوحى لبعض المخلوقات غير الأنبياء .

- أوحى الله عز وجل إلى الحواريين حيث قال تعالى : ﴿ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى ﴾ .
- أوحى الله عز وجل إلى أم موسى « السيدة يوكابد » فقال تعالى : ﴿ وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه ، فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى ، إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين ﴾ .

● وأوحى الله عز وجل إلى السيدة مريم عليها وعلى ابنها سيدنا عيسى السلام حيث قال تعالى : ﴿ واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا ، قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾

علماء فى الإدارة :

ولعل السؤال المطروح بعد ذلك هو : لماذا خاطب الله النحل بما خاطب به رسله وأنبياءه ؟ .

لأن النحل علماء فى الاقتصاد ، علماء فى هندسة المبانى ، علماء فى الفلك ، علماء فى فن الإدارة والتخطيط .

أما لماذا جعل الله الشفاء فى عسل النحل ولم يجعله فى اللبن ؟ لأن النحل مخلوق عجيب أوحى الله إليه ، ولأنه مخلوق طاهر يتم التلقيح فى عالمه دونما أى علاقة بين الذكر والأنثى ، فالعلاقة بينهما علاقة طهارة ونقاء ، وكذلك لأن النحل ملتزم جدا بأوامر الله ، فهو مخلوق يتحرى الحلال فى كل شئ ، فالله أمره أن يسلك السبل ذللا ، فاستجاب لأمر ربه سبحانه وتعالى .

إن النحلة تسير لمسافة عشرة كيلو مترات يوميا تبحث عن رزقها وتعود إلى بيتها والذى قد يكون واحدا من آلاف البيوت المبنية والمتشابكة دون أن تخطئ طريقها ، لماذا ؟ لأن الحق عز وجل زود النحلة بجهاز استشعار عن بعد يجعلها تعرف الطريق إلى بيتها فى سهولة ، وأن الإنسان – وهو أفضل مخلوقات الله وأكرمهم على الإطلاق – قد يتوه بين عمارتين متشابهتين ، ربما جاء إليهما مرات قبل ذلك ، ولكن النحل يعرف بيته بالفطرة الربانية .. فسبحان الذى خلق فسوى وقدر فهدى .

شفاء للناس :

إن عسل النحل شفاء للناس من كل الأمراض بنص حديث سيدنا رسول الله ﷺ ، عليكم بالشفاءين .. القرآن الكريم والعسل ، وجاء رجل إلى المصطفى ﷺ وقال له : إن أخى يشتكى بطنه ، فقال ﷺ : اسقه عسلا ، فسقاه عسلا فقال لرسول الله ﷺ : سقيته عسلا فلم يبرأ .. فقال عليه السلام : اسقه عسلا .. فلما جاء الرجل مرة ثالثة وقال : سقيته عسلا فلم يبرأ ، قال الرسول ﷺ : يا أخى صدق الله العظيم وكذب بطن أخيك .. اسقه عسلا .. فسقاه عسلا .. فشفاه الحق عز وجل ﴿ إنل كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر ﴾ .

الميكروبات الحية :

والعجيب في عسل النحل أنه لا تعيش فيه أبدا الميكروبات الحية ، فكل غذاء محفوظ ومغلف له مدة صلاحية لعام أو لعامين ، أو اكثر أو أقل بعدها يفسد ، أما عسل النحل فهو قادر على البقاء دون تعنيب أو حفظ لعشرات السنين دون تلف أو فساد .

نسأل الله أن يهدينا إلى سواء السبيل وأن يعلمنا من لدنه علما نسلم به من وساوس الشيطان ، ونقاد به إلى واسع الجنان إنه نعم المولى ونعم النصير .

أكثر خلق الله

سبحانك ربى .. خلقت كل شئ فقدرته تقديرا .. أحسنت كل شئ خلقته وبدأت خلق الإنسان من طين .

عندما ننظر إلي السمك كأحد جنود الله نكتشف أنه أكثر خلق الله تعالى كما يقول الإمام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه .

والسمك من خلق الماء .. الواحدة سمكة وجمعه أسماك وسموك ويقول سيدنا رسول الله ﷺ ، إن الله عز وجل خلق ألف أمة : منها ستمائة فى البحر وأربعمائة فى البر ..

ومن أنواع السمك ما لا يدرك الطرف أولها وآخرها لكبرها أو ما لا يدركها الطرف لصغرها ، وكل يأوى الماء ويستنشقه كما يستنشق بنو آدم وحيوان البر الهواء إلا أن حيوان البر يستنشق الهواء بالأنوف ويصل بذلك إلى قصبة الرئة ، والسمك يستنشق بأصداغه ، فيقوم له الماء فى تولد الروح الحيوانى فى قلبه مقام الهواء وإنما استغنى عن الهواء فى إقامة الحياة ولم نستغن نحن وما أشبهنا من الحيوان عنه لأنه من عالم الماء والأرض ودون عالم الهواء ونحن من عالم الأرض والماء والهواء .

يقول الجاحظ فى كتابه ، حياة الحيوان ، السمك يسبح الله فى غمرة الماء ولا يسبح فى أعلاه ، ونسيم البر الذى يعيش به الطير لو دام على السمك ساعة قتله ، فسبحان الله الذى جعل السمك يعيش فى الماء بدون هواء ، بحيث أنه لو خرج من الماء يموت لتوه بينما الإنسان لو نزل فى قاع البحر بدون أوكسجين فإنه يلقى حتفه .

كما يذكر الإمام الدميرى فى كتابه ، حياة الحيوان الكبرى ، : أن السمك كثير الأكل ويفسر ذلك بـ ، برد مزاج معدته وقربها من فمه وأنه ليس له عنق ولا صوت ، ومن العجيب فى دنيا الأسماك أن الصغار تحترس من كبار السمك ولذلك تطلب ماء الشطوط والماء القليل الذى لا يحمل الكبير ، وهو شديد الحركة لأن قوته المحركة للإرادة تجرى فى مسلك واحد لا ينقسم فى عضو خاص .

وفى كتاب « الثواب » عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه كان مريضا فاشتهى سمكة طرية .. فالتمست له بالمدينة فلم توجد حتى وجدت بعد كذا وكذا يوما فاشتريت بدرهم ونصف وشويت وحملت له على رغيف فقام سائل على الباب فقال للغلام : لفها برغيفها وادفعها إليه .

فقال الغلام : أصلحك الله اشتهيتها منذ كذا وكذا يوما فلم نجدها ، فلما وجدناها واشتريناها بدرهم ونصف أمرت أن ندفعها له نحن نعطيه ثمنها .

فقال : لفها وادفعها إليه .

فقال الغلام للسائل : هل لك أن تأخذ درهما وتدع هذه السمكة ؟ فأخذ منه درهما وردها .

فعاد الغلام وقال له : دفعت له درهما وأخذتها منه .

فقال له : لفها وادفعها ثانية ولا تأخذ منه شيئا ، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول أيما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر بها على نفسه غفر الله له .

نصيحة الثعلب للذئب: (٦)

إذا قعدت عند الملوك .. فتكلم بحساب

سبحانك .. ما أعظم شأنك .. ترزق عبادك بغير حساب .. لأنك أخذت عهدا على نفسك بأن ترزقهم جميعا .. مؤمنهم وكافرهم .. أبيضهم وأسمرهم .. فقلت فى كتابك الكريم ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا وعلى الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ﴾ . « هود : ٦ »

يقول الابشيهى فى المستطرف من كل كل فن مستظرف .. من العجيب فى قسمة الأرزاق أن الذئب يصيد الثعلب فيأكله ، والثعلب يصيد الأفعى فيأكلها ، والأفعى تصيد العصفور فتأكله ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله ، والجراد يصيد الزنابير فيأكلها ، والزنابير تصيد النحل فتأكله ، والنحل تصيد الذباب فتأكله ، والذباب يصيد البعوض فيأكله ، والبعوض يصيد النمل فيأكله ، والنمل يأكل كل ما تيسر من صغير أو كبير .

والثعلب الذى يصيده الذئب .. معروف ، وهو ذو مكر وخديعة وله حيل عجيبة فى طلب الرزق ، فمن ذلك أنه يتماوت وينفخ بطنه ، ويرفع قوائمه حتى يظن أنه قد مات ، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده .

وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ، ومن حيلته أنه إذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه ويأكله .

ومن لطيف أمر الثعلب أنه إذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجاء إلى الماء وقطع قطعة من صوفه ، وجعلها فى فيه ونزل فى الماء والبراغيث تطير قليلا حتى تجتمع فى تلك الصوفة فيلقيها فى الماء ، ويخرج .

كتاب الاذكياء :

ومن لطائف الثعلب ما ذكره ابن الجوزى فى آخر كتاب « الأذكياء » عن الشعبى أنه قال : مرض الأسد فعادته السباع والوحوش ما خلا الثعلب فوشى به الذئب ، فقال

الأسد : إذا حضر فأعلمني ، فلما حضر الثعلب أعلمه الذئب بذلك ، وكان قد أخبر بما قاله الذئب ، فقال الأسد : أين كنت يا أبا الفوارس ؟ قال : كنت أطلب لك الدواء ، قال : وأي شيئ أصبته ؟ قال الثعلب : قيل لي خرزة في عرقوب أبي جعد « الذئب » قال : فضرب الأسد بيده في ساق الذئب فأدماه ولم يجد شيئا ، فخرج الذئب ودمه يسيل على رجله ، وانسل الثعلب ، فمر به الذئب فناداه : يا صاحب الخف الأحمر إذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك ، فإن المجالس بالأمانات .

ومن طريف ما يروى أيضا : أن الأسد والثعلب والذئب خرجوا يتصيدون فاصطادوا حمارا وحشيا وضبا وغزالا ، ثم جلسوا يقتسمون ، فقال الأسد للذئب : أقسم علينا .

فقال : حمار الوحش لي ، والغزال للأسد ، والضب للثعلب ، فضربه الأسد في رأسه فرضخها ، فقال الثعلب : أنا أقسم .. حمار الوحش لأبي الحرث (الأسد) يتغذى به ، والغزال لأبي الحرث يتعشى به ، والضب لأبي الحرث يتنقل به فيما بين ذلك .. فقال له الأسد : لله درك .. من علمك هذا .. ؟ قال : تعلمت ذلك من رأس الذئب المضرجة بالدماء !!

والثعلب .. يكفيه قول سيدنا رسول الله ﷺ «شر السباع هذه الأثعل » يعني الثعالب .

وهو حيوان جبان مستضعف ، ذو مكر وخديعة لكنه لفرط خبثه يجري مع كبار السباع ، ومن عجيب حيلته في طلب الرزق أنه يتماوت وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن أنه مات ، فإذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده .

ولذلك قيل للثعلب : ما لك تعدو أكثر من الكلب ؟ فقال : لأني أعدو لنفسي ، والكلب يعدو لغيره !

ويروى الإمام الدميري في كتابه حياة الحيوان عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال : جاء رجل إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه فقال : رأيت كأني أجري مع الثعلب أحسن جري .. فقال له : أجريت ما لا يجري ، أنت رجل في لسانك كذب ، فاتق الله عز وجل !!

وفي شعب البيهقي رضي الله عنه عن الحسن بن سمرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : مثل الذي يفر من الموت كالثعلب تطلبه الأرض بدين ، فجعل يسعى حتى إذا

أعيا وانبهر دخل جحره ، فقالت له الأرض : يا ثعلب ، دينى ، دينى ، فخرج فلم يزل كذلك حتى انقطعت عنقه فمات .

الثعالب والآلهة :

وتذكر لنا كتب التاريخ أن بنى ثعلب كان لهم صنم يعبدونه ، فبينما هم ذات يوم إذ أقبل ثعلبان يشتدان ، فرفع كل منهما رجله وبال على الصنم .

وكان للصنم سادن يقال له : غاوى بن ظالم .. فلما رأى ذلك قال :

رب يبول الثعلبان برأسه ∴ لقد ذل من بالت عليه الثعالب

لو كان ربا كان يمنع نفسه ∴ ولا خير فى رب نأته المطالب

بزنت من الأصنام فى الدنيا كلها ∴ وآمنت بالله الذى هو خالق

ثم كسر الصنم وأتى إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال له الرسول عليه السلام : ما اسمك ؟ قال : غاوى بن ظالم فقال لا : بل أنت راشد بن عبد ربه .

(٧)

التي أكلت عصا سليمان

هل تعرف شيئا عن " الأرضة " بفتح الهمزة والضاد المعجمة ؟ إنها دويبة صغيرة كنصف حبة العدس .. طعامها الخشب .. وهي أيضا دابة الأرض التي ذكرها الله تعالى في كتابه عندما ذكر لنا قصة موت سيدنا سليمان عليه السلام ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم علي موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته، فلما خر تبينت الجن ألو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ .

يذكر الإمام القزوينى فى كتابه « الأشكال » أنه إذا أتى على الأرضة سنة نبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويؤكد أن عدو الأرضة الوحيد هو النمل .. مع أنه أصغر منها ويقول : أنه – أى النمل – يأتيها من خلفها فيحملها ويمضى بها إلى جحره ، وإذا آتاها مستقبلا لا يغلبها لأنها تقاومه .

ويقول الإمام الدميرى فى كتابه « حياة الحيوان الكبرى » أن الأرضة تبنى لنفسها بيتا حسنا من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت ، منخرطا من أسفله إلى أعلاه ، وله فى إحدى جهاته باب مربع .. فسبحان الذى ألهمها هذا .. سبحان الذى خلق فسوى وقدر فهدى .

والأرضة من جنود الله الأوفياء الذين قال الحق عز وجل عنهم ﴿ وما يعلم جنود ربك إلا هو ﴾ ففى الصحيحين أن قريشا لما بلغها إكرام النجاشى لجعفر وأصحابه كبر ذلك عليهم وغضبوا على رسول الله ﷺ وأصحابه وكتبوا كتابا على بنى هاشم ألا يتزوجوا منهم ولا يبايعوهم ولا يخالطوهم وكان الذى كتب الصحيفة هو بغيض بن عامر ومن العجيب أن يده شلت بعد أن كتب هذه الصحيفة الظالمة ، وعلقوا الصحيفة فى جوف الكعبة .

وحاصروا بنى هاشم فى شعب أبى طالب ، وانحاز إليهم بنو عبد المطلب وقطعت عنهم قريش كل شئ ، فكانوا لا يخرجون إلا من موسم إلى موسم حتى بلغوا الجهد ، وأقاموا على ذلك ثلاث سنين ، ثم أطلع الله رسوله ﷺ على أمر الصحيفة ، وأن الأرضة

قد أكلت ما كان منها من ظلم وجور وبقى ما كان فيها من ذكر الله تعالى ، فأخبرهم أبو طالب بذلك ، فارتقوا إلى الصحيفة فوجدوها كما قال رسول الله ﷺ فأخرجوهم من الشعب.

وروى ابن سعد وابن ماجه فى سننه من حديث أبى بن كعب رضى الله عنه ، أن النبى ﷺ كان يصلى إلى جذع فاتخذ له المنبر ، فحن الجذع إليه حنينا حتى مسحه سيدنا رسول الله ﷺ بيده فسكن ، فلما هدم المسجد وغير أخذ ذلك الجذع أبى بن كعب فكان عنده فى داره حتى بلى وأكلته الأرضة وعاد رفاتا .

وروى الحاكم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال : كان سليمان نبى الله إذا قام فى مصلاه رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول ما اسمك ؟ فتقول : كذا فيقول لأى شئ خلقت فتقول : كذا وكذا .. فإذا كانت لدواء كتبت ، وإن كانت لغرس غرست .. فبينما هو يصلى يوما إذ رأى شجرة فقال : ما اسمك ؟ قالت : الخروب ، فقال لأى شئ أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال سليمان عند ذلك اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الإنس أن الجن لا تعلم الغيب .

قال : فاتخذ منها عصا وتوكأ عليها فسقط فوجدوه ميتا فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين .

يتغذى على فضلات التمساح ..كيف؟

تأمل معى بديع صنع الله فى التمساح الذى خص الله عز وجل به .. النيل الخالد . يقول الأبشيهى فى كتابه " المستطرف فى كل فن مستظرف " : أن التمساح له ستون نابا . وستون عرقا . ويسفد ستون بيضة ويحضن ذلك ستين سنة . فتبارك الله أحسن الخالقين الذى خلق كل شئ فقدره تقديرا .

بينما يذكر القزوينى فى عجائب المخلوقات أن التمساح حيوان على صورة الضب من أعجب حيوان الماء له فم واسع وستون نابا فى فكه الأعلى ولسانه طويل وظهره كظهر السلحفاء ولا يعمل الحديد فيه وله أربعة أرجل وذنب طويل ليس لظهره خرزات بل ظهره قطعة واحدة وهو كريه المنظر جدا كثير العدوان يلتقم الآدمى والشاه ويقتل الخيل والحمار .

والتمساح فيه غدر وذلك أنه إذا رأى إنسان على طرف الماء يمشى تحت الماء إلى أن يقرب منه ثم يثب وثبة واحدة يأخذه ، وهو يبيض كالطيور ، والغريب أنك تشم من بيضه رائحة المسك .

ويقول الأبشيهى : إن التمساح يقيم فى النيل تحت الماء أربعة أشهر لا يظهر وذلك زمن الشتاء ويتغوط من فيه فى الغالب ويحصل فى فيه الدود فيؤذيه فيلهمه الله تعالى فيخرج إلى بعض الجزر ويفتح فاه فيرسل الله تعالى طيرا اسمه « القطقاط » فيدخل فى فيه فيأكل ما فيه من الدود فيحصل له رائحة فعند ذلك يطبق فمه على طائر « القطقاط » فيضربه بريشتين خلقهما الحق عز وجل فى جناحيه كريشة الفصاد فيؤلمه ذلك فيفتح فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال فى الأمثال « جازاه مجازاة التمساح » !!

عجائب التمساح :

ومن عجيب أمر التمساح أنه إذا أراد السفاد أخذ أنثاه وطلع بها إلى البر وقلبها وعاشرها فإذا قضى حاجته قلبها ثانية لأنه لو تركها على تلك الحالة بقيت حتى تموت وما ذلك إلا لأنها لا تستطيع الانقلاب ليبوسة ظهرها وصلابته .

وقد جعل الحق عز وجل هلاك التمساح هذا المخلوق الضخم المرعب على يد أضعف الحيوان وهو كلب الماء ، يقال أنه يتبلط بالطين ويغافل التمساح ويقذف بنفسه فى فمه فيبتلعه لنعومته فإذا حصل فى جوفه ذاب ما عليه من سخونة بطنه فيعمد إلى أمعائه فيقتله ويقطع مراق بطنه فيقتلها .

تدور الحرباء .. مع الشمس ؟!

لا نعرف مخلوقا على ظهر البسيطة يضرب به المثل فى التلون وعدم الثبات على المبدأ مثل الحرباء .. ولذلك نجد العرب تقول فى أمثالها : فلان يتلون تلون الحرباء .. أى أنه لا يثبت على حالة واحدة .

فعندما ترى الحرباء تكتشف بديع صنع الله الذي خلق كل شئ فقدره تقديرا .. لدرجة أن الإمام القزوينى فى كتابه " عجائب المخلوقات " يشير إلى الحرباء وكيف أن الحق عز وجل خلقها على صورة عجيبة فيقول :

كما كان الحرباء خلقا بطئ النهضة .. وكان لابد له من القوت خلقه الله عز وجل على صورة عجيبة .

فخلق عينيه تدور إلى كل جهة من الجهات حتى يدرك صيده من غير حركة فى يديه ولا قصد إليه ، ويبقى كأنه جامد أو كأنه ليس من الحيوان .

ثم أعطى من السكون خاصية أخرى ، وهو أنه يتشكل بلون الشجرة التى يكون عليها حتى يكاد يختلط لونه بلونها .. وإذا قرب منه ما يصطاده من ذباب وغيره أخرج لسانه ويخطف ذلك بسرعة كلحوق البرق ، ثم يعود إلى حالة كأنه جزء من الشجرة .

بخلاف المعتاد :

يقول الإمام القزوينى : وخلق الله لسانه بخلاف المعتاد ليلحق ما بعد عنه بثلاثة أشبار ونحوها .. يصطاد به على هذه المسافة .

وإذا رأى ما يروعه ويخوفه تشكل وتكون على هيئة وشكل يفر منه كل من يريده من الجوارح ويكرهه بسبب ذلك .

أما الإمام أبو حامد الغزالى رضى الله عنه فيذكر لنا جانبا آخر من صفات الحرباء، فيقول فى كتابه إحياء علوم الدين : إن الحرباء تستقبل الشمس ، وتدور معها كيفما دارت ، وتتلون بحر الشمس ألوانا مختلفة ، فتتلون إلى حمرة وصفرة وخضرة وما شاءت .

ويشير الجوهرى فى « المحكمة » إلى أن الحرباء دويبة غبراء ما دامت فرخا ثم تصفو ، وهى أبدا تطلب الشمس ، فحين تبدو تنحو بوجهها إليها ، حتى إذا استوت الشمس فوق رأسها بحيث لا تراها أصابها مثل الجنون ، فلا تزال طالبة لها ، ولا تفتر أن تتصوب إلى جهة المغرب فترجع بوجهها إليها مستقبلة لها ، ولا تنحرف عنها إلى أن تغيب الشمس .

إذا غابت الشمس :

فإذا غابت الشمس طلب هذا الحيوان معاش ليله كله إلى أن يصبح لدرجة أن طائفة من المتكلمين فى طبائع الحيوان يقولون : إنه مجوسى .

ويوصف هذا الحيوان بالحزم ، لأنه مع تقلبه مع الشمس لا يرسل يده من غصن حتى يمسك غيره .

سنام الحرباء :

ومن أظرف ما قيل عن الحرباء ما ذكره الشيخ جمال الدين بن هشام فى شرح « بانت سعاد » .

وهى قصيدة مشهورة : أن للحرباء سناما كسنام البعير ، وأنه يتلون ألوانا وهى تتلون بلون الشجرة التى تكون عليها حتى تختلط بلونها ، فإذا قرب منها الذئاب ونحوه اختطفته بلسانها .

ويبقى فى النهاية أن تسأل : من الذى أعطى لهذه الحرباء هذا اللسان الطويل الذى يمتد لثلاثة أشبار ؟ من الذى ألهمه أن يتشكل على هيئة مرعبة عندما يرى ما يخفيه ويرعبه ؟

لا جدال أن الذى منح الحرباء هذا رب واحد هو الله عز وجل الواحد ، الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين سبحانك . خلقت كل شئ فقدرته تقديرا .

يموت .. حزنا على وفاة زوجته

لا نعرف طائرا على ظهر البسيطة أكثر وفاء لزوجته من القمرى .. فحينما يحدث التزاوج بينهما يتفقان ويتعاهدان على الاخلاص والمحبة ونبذ الخيانة .. لدرجة أنك تعجب حينما تعلم أن الإمام القزوينى رضى الله عنه يقول فى كتابه " عجائب المخلوقات " : إذا ماتت ذكور القمارى لم تتزاوج إناثها بعدها . وتنوح عليها إلى أن تموت . والعكس صحيح أيضا .

إن فى هذا درسا عظيما لنا – نحن البشر – فنتعلم الوفاء لزوجاتنا وأزواجنا من هذه المخلوقات الضعيفة ، وليس عيبا أن نتعلم منها ، فالحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها أخذها .. إننا – والحق يقال – فى زمن بات فيه الوفاء عملة نادرة .. أعرف زوجة اختارت عريسها الجديد من بين المعزين فى زوجها ، المرحوم ، و اعرف زوجا لم يتحمل مرض زوجته أسبوعا فتزوج عليها ونسى الجميع أن الزواج رحمة ومودة وسكن وأمن ،ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، .

والقمرى – لمن لا يعرف – طائر مشهور ، وهو حسن الصوت .. ويقول السمعانى فى كتابه الأنساب : القمرة بلد تشبه الجص لبياضها وأظنها بمصر ، والقمرى طائر منسوب إلى هذه البلدة ، وهو يشبه الحمام إلى حد بعيد ، وتستريح النفوس إلى صوته ، فتبارك الله الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .

وقد أعطى الحق عز وجل لصوت القمرى ميزة خاصة فيذكر الدميرى فى كتابه ،حياة الحيوان ، أن الهوام تهرب من صوت القمارى .. إنها سنة الله فى خلقه ، أن جعل بعض المخلوقات تتغذى على بعضها وبعضها يخاف من بعض .. أو كما قال تعالى ﴿ إنا كل شئ خلقناه بقدر .. وما أمرنا إلا واحدة كلمح البصر ﴾ .

ويذكر لنا ابن خلكان فى ترجمته شيئا عجيبا عن القمرى يقول : إن من خاصيته إنه إذا حضر الطعام وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء .. فسبحان الله الذى ألهمه هذا .. وأعطى كل شئ خلقه ثم هدى

ويروى لنا التاريخ فى صفحاته المشرقة أن الإمام الشافعى رضى الله عنه كان جالسا بين يدى الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه فجاء رجل فقال لمالك : إنى رجل أبيع القمارى ، مفرد قمرى ، ، وإنى بعت فى يومى هذا قمريا فرده على المشترى ، وقال: قمريك لا يصيح فحلفت له بالطلاق أنه لا يهدأ من الصياح ، فقال له الإمام مالك : طلقت زوجتك ولا سبيل لك عليها .

وكان الإمام الشافعى يومئذ ابن ١٤ سنة فقال لذلك الرجل : أيهما أكثر : صياح قمريك أم سكوته ؟! قال : لا بل صياحه .. فقال الشافعى : لا طلاق عليك ، فعلم بذلك الإمام مالك فقال : يا غلام من أين لك هذا ؟ فقال الشافعى : لأنك حدثتنى عن الزهرى عن أبى سلمة ، عن أم سلمة أن فاطمة بنت قيس قالت : يا رسول الله إن أبا جهم ومعاوية خطبانى ، فقال رسول الله ﷺ : أما معاوية فصعلوك لا مال له ، وأما أبا جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وقد علم رسول الله ﷺ أن أبا جهم كان يأكل وينام ويستريح ، وقد قال رسول الله ﷺ : ، لا يضع عصاه ، على المجاز والعرب تجعل أغلب الفعلين كمداومته ، ولما كان صياح قمرى هذا أكثر من سكوته ، جعلته كصياحه دائما .

فتعجب الإمام مالك رضى الله عنه من احتجاج تلميذه الشافعى رضى الله عنه وقال له : أفت .. فقد آن لك أن تفتى .. فأفتى من ذلك السن .

وما أجمل أن نختم بقول الإمام الشافعى رضى الله عنه :

تم الكلام وربنا محمود ∴ وله المكارم والعلا والجود

وعلى الحبيب محمد صلواته ∴ ما ناح قمرى وأورق عود

ناقص من اصل المصدر

٤٣

لماذا يبتعد عن شجرة اليقطين ؟!

هل تعرف أن هناك شجرة واحدة .. لا يمكن أن يقربها الذباب أبدا ؟ .. إنها شجرة اليقطين (القرع العسلى) التي أنبتها الحق عز وجل على سيدنا ذى النون عليه السلام فقال تعالى ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ، وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين ﴾ .

يقول الدميرى فى الجزء الرابع من « حياة الحيوان » .. ولذلك (أنبتها الله على نبيه يونس عليه السلام يقصد شجرة اليقطين) لأنه حين خرج من بطن الحوت لو وقعت عليه ذبابة لآلمته ، فمنع الله عنه الذباب .. والذباب معروف ، وسمى بهذا الاسم لكثرة حركته واضطرابه وقيل : لأنه كلما ذنب أب .

والذباب أجهل الخلق على الإطلاق لأنه يلقى نفسه فى الهلكة كما أنه أيضا أحرص الأشياء فى الدنيا .. كما يقول أفلاطون .

ولم يخلق للذباب أجفان لصغر أحداقها ، ومن شأن الأجفان أن تصقل مرآة الحدقة من الغبار ، فجعل الله لها عوضا من الأجفان يدين تصقل بهما مرآة حدقتها ، فلهذا ترى الذباب أبدا يمسح بيديه عينيه .

روى الحاكم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر سمعت رسول الله ﷺ ويقول : « ألا أنه لم يبق من الدنيا مثل الذباب تمور فى جوها ، فالله الله فى إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم .

ومعنى تمور تذهب أو تجئ ، والجو : ما بين السماء والأرض وفى مسند أبى يعلى الموصلى من حديث أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ .. عمر الذباب أربعون ليلة ، والذباب كله فى النار إلا النحل » .

ويعضد هذا حديث آخر ورد فى الكامل عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : الذباب كله فى النار إلا النحل .

وقيل كونه فى النار ليس بعذاب له ، وإنما ليعذب الله به أهل النار بوقوعه عليهم .

وأنت عندما تذكر ربك عز وجل ، فإن الشيطان المتكبر المغرور يتصاغر ويتضاءل حتى يصير كالذبابة الحقيرة فقد روى النسائى والحاكم عن عمير بن عامر الهزلى البصرى قال : كنت رديف النبى ﷺ فعثر بعيرنا فقلت تعس الشيطان أى خاب وخسر الشيطان ، فقال ﷺ : لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم حتى يسير مثل البيت ويقول : بقوتى! ، ولكن قل باسم الله ، فإنه يصغر حتى يصير مثل الذبابة .

وقد روى الطبرانى حديث أبى إمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه ، فمن ذلك سبعة أملاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب فى اليوم الصائف ، ولو بدوا لكم لرأيتموهم على كل سهل وجبل كل باسط يده فاغرفاه ، وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين .

وتقول العرب : أن الذباب يكثر إذا هاجت ريح الجنوب ويخلق فى تلك الساعة ، وإذا هبت ريح الشمال خف وتلاشى ، وهو من ذوات الخراطيم كالبعوض .

ومن عجيب أمره أنه يلقى رجيعه على الأبيض أسود ، وعلى الأسود أبيض ، فسبحان الله رب العرش العظيم الذى ألهمه هذا .. وهو على كل شئ قدير .

والذباب لا يظهر كثيرا إلا فى الأماكن العفنة ، وهو من الحيوانات الشمسية لأنه يختفى فى الشتاء ، ويظهر بقوة فى فصل الصيف .

ويقول يحيى بن معاذ أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فألح على وجهه الذباب حتى أضجره . [ضايقه]

فقال : انظروا من بالباب ، فقالوا : مقاتل بن سليمان ، فقال : على به ، فلما دخل عليه قال له : هل تعلم لماذا خلق الله الذباب ؟

قال نعم : ليذل به الجبابرة .. فسكت المنصور .

ومقاتل بن سليمان مشهور بتفسير القرآن الكريم ، يقول عنه الإمام الشافعى رضى الله عنه : الناس كلهم عيال على ثلاثة : على مقاتل بن سليمان فى التفسير ، وعلى زهير بن أبى سلمى فى الشعر ، وعلى أبى حنيفة فى الفقه .

ويقول : قعد مقاتل بن سليمان يوما ، فقال : سلونى عما دون العرش ، فقال له رجل : آدم عليه السلام لما حج أول حجة حجها .. من حلق رأسه ؟

فقال : ليس هذا من عملكم ، ولكنى ابتليت لما أعجبتنى نفسى .

وقيل : إنه قيل له : النملة : أمعاؤها فى المقدمة أم فى المؤخرة ؟ .. فلم يدر ما يقول .. فكانت عقوبة عوقب بها !!

لا تتــزين .. إلا لزوجهــا

تأمل معى .. بديع صنع الله .. فى الحمام .. إن الإنسان وقد ميزه الله بالعقل وفضله على سـائر مخلوقاته . قد يتوه بين عمارتين .. جـاء إليهما قـبل ذلك مـرات ومـرات .. لكن الحـمـام يطيـر ويبـتـعـد عن عـشــه آلاف الكيلومترات . ورغم ذلك فهو لا يتوه عن عشه أبدا .

وربما تم اصطياده . وغاب عن وطنه عشـر سنوات فأكثر . ثم هو على ثبات عقله وقوة حفظه . ونزوعه إلى وطنه . حتى يجد فرصة فيطير إليه.

يقول « ابن قتيبة » فى كتابه « عيون الأخبار » :

لم أر شيئا قط من رجل وامرأة إلا وقد رأيته فى الحمام .. رأيت حمامة لا تريد إلا زوجها ورأيت ذكر الحمام لا يريد إلا أنثاه إلا أن يهلك أحدهما أو يفقد !

ورأيت حمامة تتزين لزوجها ساعة يطلبها !!وما رأيت حمامة لها زوج وهى تمكن آخر ما تعدوه! وليس من الحيوان ما يستعمل التقبيل عند السفاد إلا الإنسان والحمام !

والحمام عفيف يجر ذنبه ليعفى أثر الأنثى عن السفاد ، والأنثى تحمل أربعة عشر يوما وتبيض بيضتين : إحداهما ذكر والثانية أنثى ، وبين الأولى والثانية يوم وليلة .

والتعاون بين الذكر والأنثى رائع جدا فى عالم الحمام .. فالذكر يجلس على البيض ويسخنه جزءا من النهار ، والأنثى بقية النهار وكذلك فى الليل .

وإذا باضت الأنثى وأبت الدخول على بيضها لأمرها ، ضربها الذكر ، واضطرها للدخول .

وإذا أراد الذكر أن يسفد الأنثى « يعاشرها معاشرة الأزواج » أخرج فراخه الصغار من العش (منتهى الأدب) !!

وقد ألهم الله عز وجل الحمام إذا خرجت فراخه من البيض ، بأن يمضغ الذكر ترابا مالحا ويطعمها إياه ليسهل به سبيل المطعم .. فسبحان الله اللطيف الخبير الذى أتى كل نفس هداها .

وذكر الثعلبى عن وهب بن منبه فى تفسير قوله تعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ قال : اختار الله من النعم الضأن ومن الطير الحمام !!

الحمام الأحمر :

وروى الإمام الحاكم فى كتابه « تاريخ نيسابور » عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان النبى ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة ، وإلى الأترج ، وإلى الحمام الأحمر ، بل كان فى منزله ﷺ حمام أحمر يقال له « وردان » .

وفى كتاب « عمل اليوم والليلة » لابن السنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه شكا إلى رسول الله ﷺ الوحشة ، فقال له : اتخذ زوجا من حمام تؤنسك وتصيب من فراخها ، وتوقظك للصلاة بتغريدها .

حكاية ابن سيرين :

وروى البيهقى فى « الشعب » أن رجلا جاء لابن سيرين رضى الله عنه وقال له : رأيت فى النوم كأن حمامة التقمت لؤلؤة ، فخرجت منها أعظم مما دخلت ، ورأيت حمامة أخرى التقمت لؤلؤة فخرجت منها كما دخلت سواء ! فقال له ابن سيرين : أما التى خرجت أعظم مما دخلت ، فذلك الحسن البصرى يسمع الحديث فيجوده بمنطقه ، ثم يصل فيه من مواعظه ، وأما التى خرجت أصغر مما دخلت ، فذلك محمد بن سيرين يسمع الحديث فينقص منه ، وأما التى خرجت كما دخلت سواء ، فهو قتادة وهو أحفظ الناس !!

لا تفزع من صوت أى مخلوق

تأملت طويلا ما ذكره الإمام شهاب الدين الأبشيهى فى كتابه .. المستطرف فى كل فن مستظرف .. حيث يقول عن تسبيح المخلوقات لله رب العالمين : إن الورشان " اسم طائر " يقول فى صياحه أيها الناس استعدوا للموت وابنوا للخراب . ويقول الهدهد : إذا جاء القدر عمى البصر وتقول الفاختة : ليت هذا الخلق ما خلقوا . وليتهم إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا . وليتهم عملوا لما علموا . وتقول الضفدعة : سبحانك : منتهى علمك يارب العالمين .. أما الخطاف فيقول : قدموا خيرا تجدوه عند ربكم . بينما تقول الحمامة : سبحان ربى الأعلى والبازى يقول : سبحان الله وبحمده . والعصفور يقول : سبحان المذكور بكل لسان .

وفى عالم الإنس نجد بعض الناس لهم قلوب أقسى من الحجارة .. بحيث لو وزعت قسوتهم على أهل الأرض لو سمعتم جميعا ، وصدق الله العظيم إذا يقول .. ثم قست قلوبكم من بعد فهى كالحجارة أو أشد قسوة ، وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار ، وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء ، وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .

وفى عالم الطير أيضا نجد طيورا قاسية القلب ، ومن أهمها القبرة وهى نوع من الطير ، وهى غبراء كبيرة المنقار كأنما على رأسها قيرة .

ومن عجيب أمر « القبرة » أنها لا يفزعها صوت أى مخلوق ، ولا يهولها لها صوت صائح ، وربما رميت بالحجارة فاستخفت الحجارة ومن رمى بها ، ولهذا السبب لا تزال مأخوذة أو مقتولة ، ذلك لأن الرامى يحمله الحنق عليها على مداومة ضربها حتى يصيبها فى مقتل .

ومع هذا فشأن « القبرة » أنها تحب أن تستئنس بالإنسان وتعيش معه سواء رضى أو كره ، ولذلك نراها تضع وكرها قريبا من الناس وربما فى منازلهم ، إنها ضيف ثقيل غير مرغوب فيه ، ولكنها تحب الإنسان .. فسبحان الذى خلق كل شئ فقدره تقديرا .

يروى الإمام الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادى بإسناده عن داود بن أبى هند قال : صاد رجل ، قبرة ، فقالت : ما تريد أن تصنع بى ؟

قال : أذبحك وأكلك ، فقالت : والله إنى لا أسمن ولا أغنى من جوع ، وما أشفى من قرم ، ولكنى أعلمك ثلاث خصال هى خير لك من أكلى ، أما الواحدة فأعلمك إياها وأنا على يدك ، والثانية إذا صرت على الشجرة ، والثالثة إذا صرت على الجبل ، فقال : نعم ، فقالت وهى على يده : لا تأسفن على ما فاتك ، فخلى عنها وتركها فى حال سبيلها .

فلما صارت على الشجرة قالت : لا تصدق بما لا يكون أنه يكون .

فلما صارت على الجبل قالت : يا شقى لو ذبحتنى لوجدت فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا ، فعض على شفتيه وحزن وتلهف ، قال : هاتى الثالثة .

فقالت : قد نسيت الثنتين الأوليين ، فكيف أعلمك الثالثة ؟

قال : وكيف ؟! قالت : ألم أقل لك لا تأسفن على ما فاتك ، وقد تأسفت على ما فاتك ، وقد تأسفت على ؟!

وقلت لك : لا تصدق بما لا يكون أنه يكون ، وقد صدقت ؟ فإنه لو جمعت عظامى وريشى ولحمى لم تبلغ عشرين مثقالا .. فكيف يكون فى حوصلتى درة وزنها عشرون مثقالا ؟!

وهذا هو طرفة بن العبد – وكان شاعرا مشهورا – نزل مع ابن عم له فى سفر ، فنزلوا على ماء ، فذهب طرفة بفخ له لمكان فنصبه للقناطر ، وبقى عامة يومه لم يصد شيئا ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه فحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن ما نثره لهن من الحب فقال .

يالك من قبرة بمعمر ∴ خلالك رفح الفخ فماذا تحذرى

وانقرى ما شئت أن تنقرى ∴ قد ذهب الصياد عنك فابشرى

لا تعرف الكـذب!

الحـيوانات الأعـجـمية .. لا تعرف الـكـذب .. وبعض بنى آدم - الذين أكـرمهم الله بـالعقل وفـضلهم على سـائر مـخلوقاتـه - يكذبون كـمـا يتنفسـون .. !! بل إنهم يكذبون حتـى يصدقون أنفسـهم أو نسـوا أو تناسـوا قوله تعالـى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾ ويقـول سيدنا رسـول الله صلى الله عليه وسلم " علـيكم بالصدق فإن الصدق يهـدى إلى البر وإن البر يهـدى إلى الجنة وأن الرجل ليصدق ويـتحرى الصدق حـتى يكتب عند الله صـديقا وإياكم والكذب فـإن الكذب يهـدى إلي الفجـور وإن الفجـور يهـدى إلي العـصيـان وإن العـصـيان يهـدى إلي النـار وإن الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ".

تدبر معى أعزك الله كذب أولاد يعقوب عليه السلام الذى ورد فى سورة يوسف : وجاءوا أباهم عشاء يبكون قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على تصفون .

ولعل السؤال الذى يطرح نفسه : لماذا جاءوا أباهم عشاء يبكون ؟ لماذا لم يأتوه قبل الليل ؟

يقول القرطبى فى « الجامع لأحكام القرآن » : وإنما جاءوا عشاء ليكونوا أقدر على الاعتذار فى الظلمة ولذا قيل : لا تطلب الحاجة بالليل فإن الحياء فى العينين ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج فى الاعتذار .

إن يعقوب عليه السلام لما سمع بكاء أولاده قال : ما بكم ؟ أجرى فى الغنم شئ ؟ قالوا : لا ، قال : فأين يوسف ؟ قالوا : ذهبنا نستبق فأكله الذئب .

فبكى يعقوب عليه السلام وصاح وقال : وأين قميصه ، ويروى أبو حيان فى البحر المحيط ، ان يهوذا ابن يعقوب وضع يده على مخارج نفس يعقوب فلم يحس بنفس ولم

يتحرك له عرق فقال لهم يهوذا ويل لنا من ديان يوم الدين ! ضيعنا أخانا وفتنا أبانا فلم يفق يعقوب إلا ببرد السحر فأفاق ، ونادى على ولده روبيل قائلا : ألم أئتمنك على ولدى؟ ألم أعهد إليك عهدا ؟ فقال : يا أبت إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب .. وبكى أولاد يعقوب .

الدم المصنوع :

إنها دموع التماسيح دموع الكاذبين .. الذين يقتلون القتيل ثم يمشون فى جنازته إن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله لاحتمال أن يكون تصنعا فمن الخلق من يقدر ، وقد قيل أن الدمع المصنوع لا يخفى كما قال القائل : إذا اشتبكت دموع فى خدود تبين من بكى ممن تباكى !!

ويقول المفسرون : إن يعقوب عليه السلام لما قالوا له : فأكله الذئب قال لهم : ألم يترك الذئب له عضوا فتأتونى به أستأنس به ؟ ألم يترك لى ثوبا أشم فيه رائحته ؟ قالوا : بلى ! .. هذا قميصه ملطوخ بدمه فذلك قوله تعالى ﴿ وجاءوا على قميصه بدم كذب ﴾ فبكى يعقوب عند ذلك وقال لأولاده : أرونى قميصه ، فأروه فشمه وقبله ثم جعل يقبله فلا يرى فيه شقا ولا تمزيقا فقال : والله الذى لا إله إلا هو ما رأيت كاليوم ذئبا أحكم منه : أكل ابنى واستله من قميصه ولم يمزقه عليه وعلم أن الأمر ليس كما قالوا وأن الذئب لم يأكله فأعرض عنهم غاضبا حزينا باكيا وقال : يا معشر ولدى : دلونى على ولدى يوسف فإن كان حيا رددته إلى وإن كان ميتا كفنته ودفنته .

فقال أولاد يعقوب : ألم تروا إلى أبينا كيف كذبنا فى مقالتنا تعالوا نخرجه من الجب ونقطعه عضوا عضوا ونأت أبانا بأحد أعضائه فيصدقنا فقال يهوذا : والله لئن فعلتم ذلك لأكونن لكم عدو مبين ما حييت ولأخبرن أباكم بسوء صنيعكم .

واصطاد أولاد يعقوب ذئبا ولطخوه بالدم وجاءوا به إلى أبيهم قائلين هذا هو الذئب الذى فجعنا فى أخينا وهذا دمه عليه فقال يعقوب : أطلقوه فأطلقوه وتبصبص له الذئب (حرك ذيله) فأقبل يدنو منه ويعقوب عليه السلام يقول له : إدن .. إدن حتى ألصق خده فقال فقال له يعقوب : أيها الذئب : لم فجعتنى فى ولدى وأورثتنى حزنا طويلا ؟ .. ثم قال : اللهم انطقه ، فأنطقه الله تعالى : فقال : والذى اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه ولا ولا مزقت جسده ولا نتفت شعرة من شعراته ووالله مالى بولدك عهد ونحن معاشر الذئاب وإنما أنا ذئب غريب أقبلت من مصر والله لا أقيم فى بلد يكذب فيه أولاد الأنبياء !! وقال يعقوب عليه السلام لهم : بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون .

نسأل الله تعالى أن يعلمنا وأن ينفعنا بما علمنا إنه نعم المولى ونعم النصير .

ناقص من اصل المصدر

٥٣

-٥٤-

تنتظر الساعة يوم الجمعة

توقفت طويلا أمام حديث سيدنا رسول الله ﷺ - الذى رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه " لا تضربوا وجوه الدواب .. فإن كل شئ يسبح بحمده " .

إنه يؤكد المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام كان رحمة لكل ما خلق الحق عز وجل . وصدق ربنا عز وجل إذ يقول " وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين فالدابة مهما كانت لا تضرب على وجهها أبدا . لأنها كما يقول الحبيب محمد عليه السلام تسبح بحمد الله

أن الحديث السالف الذكر يشير إلى أن الإسلام العظيم لم يهتم بحقوق الإنسان وحدها وإنما بحقوق كل المخلوقات .. حقها فى الحياة ، وحقها فى أن تستخدم فيما حدده الله طبقا لقدراتها ، وبذلك كان الإسلام هو أول من نادى بالرفق بالحيوان :

والدواب - ما دب من الحيوان كله ، وقد أخرج بعض الناس منه الطير لقوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ﴾ لكن بعض العلماء ردوا عليهم بقوله تعالى ﴿ وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين ﴾ .

إن دواب الأرض تبكى على فراق المؤمنين الذين كانوا يملأون الأرض طاعة وصلاة وتعميرا واخلاصا وسجودا لله رب العالمين ، بل إن موضع سجود الإنسان يبكى على فراقه أربعين يوما ، أما أولئك الذين عاثوا فى الأرض فسادا ، وضيعوا حياتهم فى غير ما يرضى الله ، وضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فهم آثمون ولا تبكى عليهم الأرض ففى الصحيحين عن أبى قتادة رضى الله عنه قال : إن النبى ﷺ مر عليه بجنازة فقال : مستريح ومستراح منه ، قالوا يا رسول الله ما المستريح

والمستراح منه ، فقال ﷺ « العبد المؤمن مستريح من وصب الدنيا ونصبها إلى رحمة الله تعالى ، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب ».

وفى سنن أبى داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ عليه وسلم وقال : « ما من دابة إلا وهى مصبحة (منصته مستمعة) يوم الجمعة خشية أن تقوم الساعة » .

أرأيت إلى أى مدى تخشع الدواب فى يوم الجمعة انتظارا للساعة ؟! وبعض بنى آدم الذين ميزهم الله بالعقل وكرمهم فى البحر ورزقهم من الطيبات يتكالبون على الدنيا وكأنهم سيخلدون فى هذه الدنيا وهؤلاء ينسون أو يتناسون قوله تعالى ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الإجلال والإكرام ﴾ .

كما أن أولئك الذين يشتمون ويسبون الدواب آثمون شرعا حيث يقول الإمام أحمد رضى الله عنه : من شتم دابة قال الصالحون لا تقبل شهادته لحديث المرأة التى لعنت الناقة ، وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء رضى الله عنه : لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة .

يرى الحمار .. إبليس وجنوده

من عجيب أمر الحمار - وهو من خلق الله عز وجل - أنه إذا شم رائحة الأسد رمى نفسه عليه من شدة الخوف .. يريد بذلك الفرار منه .. فيلقى حتفه على يد أسد .

ومن عجيب أمره أيضا أنه يوصف بالهداية إلى سلوك الطرقات التى مشى فيها ولو لمرة واحدة .. فسبحان من ألهمه الهداية بحيث إنه يعرف منزل صاحبه ويذهب إليه ويعود دون أن يضل الطريق . مع أن الإنسان أحيانا - يتوه بين عمارتين قد حضر إليهما قبل ذلك .

والحمار يتميز بحدة السمع وليس فى الحيوان ما ينزو على غير جنسه إلا الحمار والفرس ، ومن الغريب - كما يقول الإمام الدميرى فى كتابه حياة الحيوان أنه ينزو إذا تم له ثلاثون شهرا ، ومن الحمير نوع يصلح لحمل الأثقال ، ونوع لين الأعطاف ، سريع العدو ، يسبق براذين الخيل .

وقد ذكر الحمار فى القرآن فى أكثر من موضع منها قوله تعالى فى قصة العزيز :
﴿ أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه ، قال : كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم .. قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس ، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شئ قدير ﴾ .

ويخلق ما لا تعلمون :

ومنها أيضا قوله تعالى ﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ، وكذلك قوله .. كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾ .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطانا ، وإذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله فإنها رأت ملكا » .

وروى النسائى والحاكم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « إذا سمعتم نباح الكلاب ، ونهيق الحمير فى الليل فتعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ، فإنها ترى ما لا ترون ، وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل ، فإن الله يبث فى الليل من خلقه ما شاء » .

وروى البيهقى فى « دلائل النبوة » بسنده إلى أبى سبرة النخعى قال : أقبل رجل من اليمن ، فلما كان فى أثناء الطريق نفق حماره « مات الحمار » فقام فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قال : اللهم إنى جئت مجاهدا فى سبيلك ابتغاء مرضاتك وأنا أشهد أنك تحيى الموتى وتبعث من فى القبور ، لا تجعل لأحد على اليوم منة ، أسألك أن تبعث لى حمارى، فقام الحمار ينفض أذنيه ، ويقول البيهقى تعليقا على الحديث : هذا إسناد صحيح، ومثل هذا يكون معجزة لصاحب الشريعة ، حيث يكون فى أمتى من يحيى الله له الموتى .

ولذلك نجد الشعبى يقول : أنا رأيت ذلك الحمار يباع بعد ذلك فى السوق ، فقيل للرجل : أتبيع حمارا قد أحياه الله لك ؟!

قال : فكيف أصنع ؟ فقال رجل من رهطه ثلاثة أبيات حفظت منها هذا البيت :

ومنا الذى أحيا الإله حماره ... وقد مات منه كل عضو ومفصل

اسمه يعفور :

ومن طريف ما روى فى شأن الحمير ما ذكره ابن عساكر فى تاريخه حيث يقول : لما فتح النبى ﷺ خيبر أصاب حمارا أسود فكلم رسول الله ﷺ الحمار، فقال له : ما اسمك ؟

قال : يزيد بن شهاب ، أخرج الله من نسل جدى ستين حمارا لا يركبها إلا نبى ، وقد كنت أتوقعك لتركبنى ، ولم يبق من نسل جدى غيرى ولا من الأنبياء غيرك ، وقد كنت قبلك عنده أتعثر به عمدا ، كان يجيع بطنى ويركب ظهرى .

فقال له النبى ﷺ : « فأنت يعفور : يا يعفور .. فكان سيدنا رسول الله ﷺ يركبه فى حاجته ، وكان يبعثه خلف من شاء من أصحابه فيأتى الباب فيقرعه برأسه ، فإذا خرج صاحب الدار أومأ إليه ، فيعلم أن رسول الله ﷺ أرسله إليه ، فيأتى النبى عليه الصلاة والسلام .

فلما قبض رسول الله ﷺ جاء إلى بئر ، كانت لابى الهيثم بن التيهان فتردى فيها جزعا على رسول الله ﷺ فكانت قبره .

الرعد بحمده .. والملائكة من خيفته

الرعـد والبـرق والصـواعق والزلزال .. مـن آيات الحق عـز وجل فى هذا الكون .. حيث قال تعالى ﴿ هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال .. ويسبح الرعد بحمده ، والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ﴾ سورة الرعد

والرعد والبرق والصواعق والزلازل من جنود الله التى قال عنها « وما يعلم جنود ربك إلا هو » وهذه الآيات وعيد شديد وإنذار من الحق عز وجل لأهل الأرض .. ويقول ابن كثير فى تفسيره إن عبد الله بن الزبير كان إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبحت له ، إن هذا لوعيد شديد لأهل الأرض .

والبـرق هو ما يرى من النور اللامع ساطعا من خلال السحاب ، وهو يكاد أن يخطف الأبصار بنص قوله تعالى ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه ، وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شئ قدير ﴾ .

صوت الرعد :

ولعل السؤال الذى يطرح نفسه الآن ، ماذا كان النبى ﷺ يفعل عندما يسمع صوت الرعد ؟

كان الرسول ﷺ يقول : اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك ، وعافنا قبل ذلك.

وكان أبو هريرة رضى الله عنه إذا سمع صوت الرعد يقول : سبحان من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .

ويقول الحق عز وجل فى الحديث القدسى « وعزتى وجلالى وعظمتى وكبريائى.. لو أن عبادى أطاعونى لأشرقت لهم الشمس بالنهار ، ولأنزلت لهم المطر بالليل ، ولما أسمعتهم صوت الرعد أبدا » .

أسباب النزول :

ويقول الله تعالى عن الصواعق ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال ﴾ .

والمعنى : يرسلها الله نعمة على من يشاء من عباده ، وجاء فى أسباب نزولها عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الرسول ﷺ بعث صحابيا إلى أحد فراعنة العرب .

قال : إذهب فادعه لى ، فذهب إليه فقال له : رسول الله يدعوك .

فسخر الرجل من ربه عز وجل ، وقال : من الله هذا .. أهو من ذهب .. أم من فضة ؟ أم من نحاس ؟ .. فرجع الرجل إلى رسول الله ﷺ وقال : دعوته فرفض إنه أعتى من ذلك فقال عليه السلام : ارجع .. فادعه لى .

فرجع إليه ، فسخر من الله عز وجل ، فعاد إلى رسول الله وقال : ما حدث ، فقال الرسول عليه السلام : ارجع فادعه لى وبينما هو يسخر من ربه إذا بسحابة تنزل من السماء قبالة رأسه ، فرعدت ، ثم أبرقت ، فنزلت منها صاعقة من السماء فأحرقته .

ونزل الأمين جبريل على رسول الله ﷺ وقال له : السلام يقرؤك السلام ويقول لك « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » .

قصة ابن الطفيل :

وفى تفسير القرطبى « الجامع لأحكام القرآن » يقول ابن عباس رضى الله عنهما : إن هذه الآية نزلت فى عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة حضرا للمدينة يريدان قتل النبى ﷺ ، أقبل عامر وأربد فدخلا المسجد ، فقالا : يا رسول الله : هذا عامر بن الطفيل قد أقبل نحوك ، فقال : دعه فإن يرد الله به خيرا يهده .

فأقبل عامر فقال : يا محمد ، مالى إن أسلمت ؟

فقال عليه الصلاة والسلام : لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين ؟ قال : أتجعل لى الأمر من بعدك ؟ قال : ليس ذاك إلى ، إنما ذلك إلى الله يجعله حيث يشاء .

قال : أفتجعلنى على الوبر وأنت على المدر ؟ قال : لا .. قال : فما تجعل لى ؟

قال : اجعل لك أعنة الخيل لتجاهد بها فى سبيل الله .

قال : أوليس لى أعنة الخيل اليوم .. قم معى أكلمك : فقام معه رسول الله ﷺ .

وكان عامر أومأ إلى أربد إذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف ، فجعل عامر يخاصم النبى ﷺ ويراجعه ، فاخترط أربد سيفه من غمده ، لكن الله حبسه وشلت

يده ، فخرج من المسجد مسرعا ، وما إن خرج حتى سلط الله عليه صاعقة من السماء ، فأحرقته .

أما عامر فقد ولى هاربا ، وقال : يا محمد : دعوت ربك على أربد حتى قتلته ، والله لأملأنها عليك خيلا جردا وفتيانا مردا ، فقال ﷺ يمنعك الله من ذلك وأبناء قيله (يعنى الأوس والخزرج) .

فنزل عامر بيت امرأة سلولية وأصبح يقول : والله لئن أصحر [خرج] لى محمد وصاحبه ملك الموت لانقذتها برمحى ، فأرسل إليه ملكا ، فلطمه بجناحه ، فأذراه فى التراب ، وخرجت على ركبته غدة عظيمة فعاد وهو يقول : غدة البعير .. وموت فى بيت سلولية .. ثم هلك !!

وتفرح بالنار .. وتعيش ألف سنة

هل تعرف المخلوق الذى إذا لم يجد طعاما يعيش على النسيم ويقتات به الزمن الطويل ؟ هل تعرف المخلوق الذى إذا أسرف فى شرب الماء انتابته حالة سكر .. ربما كانت السبب فى هلاكه ؟ .. هل تعرف المخلوق الذى يفر من الرجل العريان ويحب اللبن حبا شديدا . ويفرح بالنار ؟

إنه الحية .. عدو الإنسان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها يقول المبرد فى كتابه « الكامل » اسم يطلق على الذكر وعلى الأنثى فإذا أردت التمييز قلت : هذه حية ذكر ، وهى حية أنثى .

ونقل « السهيلى » عن المسعودى رضى الله عنهما أن الله عز وجل لما أهبط الحية إلى الأرض أنزلها فى سجستان « مدينة إيرانية » فهى أكثر أرض الله حيات ، ولولا العربد يأكلها ويفنى كثيرا منها لخلت من أهلها لكثرة الحيات ، ولذلك نجد أن الحكومة الإيرانية أنشأت فى سجستان مصنعا ضخما للسموم نتيجة لكثرة الحيات هناك .

ويحدد الإمام الدميرى فى كتابه « حياة الحيوان » خصائص الحيات فيقول :

- أنها تعيش ألف سنة .
- تسلخ جلدها فى كل سنة مرة واحدة .
- تبيض ثلاثين بيضة على عدد أضلاعها ، فيجتمع عليها النمل ، فيفسد غالب بيضها ولا يصلح منه إلا القليل .
- إذا لدغها العقرب ماتت .
- بيضها مستطيل وهو كدر اللون وأخضر وأسود .
- لسانها .. مشقوق .. فيظن بعض الناس أن لها لسانين .

والحيات أنواع منها:

- الرقشاء : وفيها نقط سود وبيض ، وهى من أخبث الأفاعى وهى صم لا تسمع .
- العربد : وهى حية عظيمة .. تأكل الحيات .

● المكللة : وهى شديدة الفساد ، تخرق كل ما مرت عليه ولا ينبت حول حجرها شئ من الزرع أصلا ، وإذا حاذى مسكنها طائر سقط ، ولا يمر حيوان يقربها إلا هلك وهى كثيرة ببلاد الأتراك .

● ذو الطفتين والأبتر ، وفى الصحيحين أن النبى ﷺ قال : أقتلوهما .. « أى ذو الطفتين والأبتر » فإنهما يلتمسان البصر ، ويسقطان الحبالى .

وتوصف الحية بالنهم والشره لأنها تبتلع الفراخ من غير مضغ ، ومن عجيب أمرها أنها إذا ابتلعت شيئا له عظم أتت شجرة فتلتوى عليها التواء شديدا يتكسر ذلك فى جوفها .

ومن عجب أمرها أيضا أنها إذا كبرت فى السن صغر جسمها واقتنعت بالنسيم ، ولم تشته الطعام ومن عجيب أمرها ، أيضا أن الذكر لا يقيم بموضع واحد وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها ، وتقوى على الكسب .

ومن عجب أمرها كذلك أن عينها لا تدور فى رأسها بل كأنها مسمار مضروب فى رأسها وكذلك عين الجراد وعينها إذا قلعت عادت ، وكذلك نابها ، وكذلك ذنبها إذا قطع نبت مرة أخرى فتبارك الله أحسن الخالقين .

والحية إذا ذبحت تبقى أياما لا تموت وإذا عميت أو خرجت من تحت الأرض لا تبصر بحثت عن نبات اسمه الرازيانج الأخضر ، فتحك به بصرها فتبصر فسبحان من قدر فهدى ، قدر عليها العمى ، وهداها إلى ما يزيله عنها .

وليس شئ فى الأرض مثل الحية إلا وجسم الحية أقوى منه ولذلك فإنها إذا أدخلت صدرها فى جحر أو صدع لم يستطع أقوى الناس إخراجها منه، وربما تقطعت ولا تخرج!

وليس لها قوائم ولا أظفار تتشبث بها ، وإنما قوى ظهرها هذا القوة لكثرة أضلاعها فإن لها ٣٠ ضلعا كما سبق أن قلنا .

سلة الحاوى :

ويذكر الإمام أبو الفرج الجوزى رحمه الله فى كتاب الأذكياء أن عيسى عليه السلام مر بحاو يطارد حية فقالت له الحية : يا روح الله قل له لئن لم يلتفت على لأضربنه ضربة أقطعه قطعا ، فمر عيسى عليه السلام ثم عاد ، فإذا الحية فى سلة الحاوى .

فقال لها عيسى عليه السلام : ألست القائلة كذا وكذا .. فكيف صرت معه ؟ فقالت يا روح الله : إنه قد حلف لى ، والآن غدر بى ، فسم غدره أضر عليه من سمى .

نسأل الله أن يقينا أذى خلقه ، ونعوذ به من شر كل دابة هو آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم .

يسجد لله .. فى بطن أمه !

أثبت العلم الحديث أن الجنين يسمع فى بطن أمه فى الأشهر الأخيرة من الحمل وأن حركاته تزيد داخل الرحم عندما ينزعج أو تحدث أصوات حول أمه .

إن الجنين يسبح ربه عز وجل وهو فى بطن أمه بكيفية لا نعرفها وطريقة لا يفك رموزها إلا رب واحد هو الله عز وجل الواحد الذى أحسن كل شئ خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين .

وبمجرد أن ينفخ الحق عز وجل فى الجنين الروح وتكتمل أعضاؤه أى ابتداء من الشهر السادس يبدأ الجنين فى السجود لله رب العالمين داخل رحم الأم ، ففى الفترة قبل الشهر السادس يكون الجنين جالسا القرفصاء واضعا يده بجوار رأسه ، وعندما يصل إلى الشهر السادس يبدأ السجود لرب العالمين بحيث لو كانت أمه واقفة تصلى مثلا يكون الجنين ساجدا واضعا يده بجوار رأسه فى وضع السجود تماما ، سجد الجنين لخالقه وبارئه عز وجل ، سجد ولا يزال طاهرا لم تدنسه الدنيا ، ولم يصل إليه الشيطان ، سجد لله عز وجل الذى منحه الحياة ، وحوله من ماء مهين إلى إنسان كريم ، وعندما ينزل الطفل من بطن أمه (من القرار المكين) يبكى ، لأنه يخرج من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا ، وصدق الشاعر حينما قال :

أنت الذى ولدتك أمك باكيا ∴ والناس حولك يضحكون سرورا

فاعمد إلى عمل تكون إذا بكوا ∴ فى يوم موتك ضاحكا مسرورا

إن الجنين فى بطن أمه يتأثر بما تفعله أمه ويحس بها ويشعر بها بل إنه يتألم لآلامها ، يروى أن أما بعد أن وضعت طفلتها الصغيرة رفضت أن ترضع من صدر أمها، حاولوا معها مرارا وتكرارا بلا جدوى فجاءوا بسيدة أخرى وقدمت لها صدرها فرضعت الطفلة ، لكنها كانت ترفض بشدة صدر أمها ، انتظروا حتى نامت وقدموا لها صدر أمها

فرفضت ، فسأل أحد الصالحين الأم : هل حاولت إجهاض نفسك وأنت حامل فى هذه الطفلة ؟ فقالت الأم : نعم .. لقد حاولت أن أجهض نفسى ، لأن زوجى لا يريد أولادا حيث لدينا ٣ أطفال آخرين ، ولكن الطبيب رفض لأن ذلك فيه خطورة على حياتى ، أما أنا فقد أصررت على رأيى على الإجهاد حتى أرضى زوجى .

فقال لها الرجال الصالح : كما أنك كنت لا تريدين طفلتك ، فهى الأخرى لا تريدك إنها تشعر بكل شئ !!

حكاية ام صالحة :

أعرف أما صالحة كانت وهى حامل لا تترك المصحف أبدا دائما تنور وجهها بكتاب الله عز وجل وحتى حينما كانت تدير احتياجات منزلها كان لسانها رطبا بذكر الله عز وجل ، وقد ولدت طفلا ، وأقسمت لى بالله أن أبنها حفظ القرآن الكريم وعمره ٩ سنوات وقلت لها : فعلا أن الطفل يتأثر بأمه أثناء حمله ، فما دمت حرصت على قراءة القرآن ، فإن ولدك هو الآخر أحب القرآن الكريم ، فأحبه القرآن !

ومن إعجاز الله عز وجل فى الجنين قوله تعالى ﴿ وجعل لكم السمع والإبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ ونتساءل لماذا جاء « السمع » بالأفراد ؟ والإبصار بالجمع ؟

والإجابة هى أن الإبصار مجموعة والسمع واحد ، فلو اجتمع مجموعة من الناس فى مكان واحد فكل واحد ينظر إلى مكان مختلف ويرى منظرا لا يراه الذى بجواره ، أما من حيث السمع ، فالكل يسمعون نفس الأصوات التى تصدر فى المكان الموجودين به .

وهناك سؤال آخر : لماذا جاء السمع أولا والبصر ثانيا ، والفؤاد ثالثا ؟ أن الجنين – كما قلنا من قبل – يسمع فى بطن أمه ، لذلك فهو ينزل من بطن أمه فيسمع الأصوات التى حوله ، ويعرف صوت أمه ويطمئن ويهدأ حينما يسمع صوتها ، ثم بعد أيام من الولادة تأتى للطفل حاسة البصر ، ثم بعد ذلك تأتى حاسة الفؤاد فيحب ويكره ، فسبحان من خلق فسوى وقدر فهدى وهو على كل شئ قدير وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والإبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ .

هكذا .. يسبح القرد ربه !

(٢٢)

ليس أدل على أن القرد يسبح ربه عز وجل من ذلك الحديث الشريف الذى رواه لنا الإمام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : أن رجلاً حمل معه خمراً فى سفينة ليبيعه ومعه قـــرد .

قال : فكان الرجل إذا باع الخمر شابه بالماء ثم باعه قال : فأخذ القرد الكيس فصعد به فوق صارى السفينة فجعل يطرح ديناراً فى البحر وديناراً فى السفينة حتى قسمه .

وفى هذا تأكيد على ان القرد من جنود الله التى قال عنها فى سورة المدثر : « وما يعلم جنود ربك إلا هو » لأن الله هو الذى ألهمه ان يقسم الدنانير فى السفينة والبحر .. فتبارك الله أحسن الخالقين الذى ألهمه هذا .

والقرد حيوان ذكى مليح سريع الفهم يتعلم الصنعة ، يروى لنا الدميرى فى كتابه حياة الحيوان ان ملك النوبة اهدى إلى المتوكل قرداً خياطاً وآخر صائغاً ، ويقول : ان أهل اليمن يعلمون القردة القيام بحوائجهم حتى ان القصاب والبقال يعلم للقرد حفظ الدكان حتى يعود إلى صاحبه .

ومن عجيب صنع الله فى القردة أنها تلد فى البطن الواحدة العشرة والاثنى عشر وهو حيوان يشبه الانسان فى غالب حالاته فإنه يضحك ويطرب ، ويتناول الشئ بيده وله أصابع مفصلة إلى أنامل وأظافر .. ويمشى على أربع مشيه المعتاد ، ويمشى على رجليه حيناً يسيراً .

ومن عجيب صنع الله فى القرد أنه إذا سقط فى الماء غرق كالادمى الذى لا يحسن السباحة كما أنه يأخذ نفسه بالزواج والغيرة على الاناث ، وهما خصلتان من مفاخر الانسان وتحمل الانثى أولادها كما تحمل المرأة !!

وقد الهم الله القردة من الأشياء ما يجعلهم يتمتعون بالحياة ويدافعون عن أنفسهم ضد غوائل الطبيعة .. فإذا ارادت القردة ان تنام نام الواحد فى جنب الآخر حتى يكونوا سطراً واحداً . وإذا تمكن النوم منها نهض أولها من الطرف الايسر ، فإذا قعد صاح فينهض من كان يليه ويفعل كفعله .

النسر .. أطول الطيور عمرا



هل تعرف ما الذى يقوله النسر عند صياحه ؟.. أنه ينادى عليك أيها الانسان الذى شغلتك الدنيا .. ولهثت وراء سرابها الخادع قائلاً : ابن آدم عش ما شئت فإن الموت ملاقيك . فمن الذى ألهم النسر هذا النداء ؟ من الذى علمه أن يقول هذا ؟ لا جدال أنه رب واحد هو الله عز وجل الواحد .

والنسر طويل العمر .. يقال أنه من أطول الطير عمراً ، وأنه يعمر ألف سنة أو يزيد على ذلك ، فتبارك الله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى .

والنسر سيد الطير روى اليافعى فى كتابة : « نفحات الأزهار ولمحات الأنوار » عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال : سمعت حبيبى رسول الله ﷺ يقول : « هبط على جبريل عليه السلام يقول : يا محمد ، ان لكل شئ سيداً ، فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت ، وسيد الروم صهيب ، وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال ، وسيد الشجر السدر، وسيد الطير النسر ، وسيد الشهور رمضان ، وسيد الأيام الجمعة ، وسيد الكلام العربية وسيد العربية القرآن ، وسيد القرآن سورة البقرة » .

ويروى لنا الإمام الطبرانى فى معجمه الأوسط عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال : يارب أخبرنى باكرم خلقك عليك ؟ فقال جل وعلا : هو الذى يسرع إلى هواى اسراع النسر إلى هواه .

وفى شعب الإيمان للإمام البيهقى قال : سمعت الجنيد رضى الله عنه يقول : حق الشكر إلا يعصى الله فيما أنعم ، ومن كان لسانه رطباً بذكر الله تعالى دخل الجنة وهو يضحك ، وقال : تعالى دخل عباداً يأوون إلى ذكر الله كما يأوى النسر إلى وكره .

ومن بديع الله فى النسر أن ربك عز وجل أعطاه بصراً حاداً فهو - بقدرة الله - يرى الجيفة من ٤٠٠ فرسخ ، وكذلك له حاسة شم قوية ، لكن الشئ العجيب أن النسر إذا شم الطيب مات لوقته !!

وهو أشد الطير طيراناً وأقواها جناحاً ، حتى أنه ليطير ما بين المشرق والمغرب فى يوم واحد ، وإذا وقع على جيفة لا يأكل منها أحد غيره لأن كل الجوارح تخاف منه فسبحان الله الذى أخاف منه كل الجوارح وهو على كل شئ قدير .

حتى العنكبوت له .. « ديب فريزر » !



والعنكبوت دويبه صغيرة معروفة تنسج نسجاً رقيقاً مهلهلا فى الهواء يرى على الجدران وفى زوايا الاسقف وهى قصار الأرجل كبار العين بحيث ان الواحد منها له ثمانية أرجل وستعيون فتبارك الله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى .

والعنكبوت من جنود الله التى لا يعلمها إلا هو .. وهو يأتمر بأوامر الحق ويذكر الإمام الابشيهى فى كتابه المستطرف من كل فن مستظرف ان العنكبوت نسج بأمر الله على ثلاثة .

- نسج على غار النبى ﷺ أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة بأمر من الحق عز وجل وهكذا حمى الله نبيه محمداً ﷺ بخيط العنكبوت كما حمى موسى فى التابوت ويونس فى بطن الحوت .
- ونسج العنكبوت على سيدنا داود عليه السلام حين كان جالوت يطلبه بإذن من الله رب العالمين .
- نسج العنكبوت خيوطه بأمر من الله على عورة زيد بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عن الجميع لما صلب عريانا .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن العنكبوت مرتين فقال تعالى : ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ .

لقد قال الله عز وجل : ﴿ اتخذت بيتا ولم يقل اتخذ حيث أثبت العلم الحديث ان انثى العنكبوت هى التى تبنى البيت وليس الذكر ولم يقل بنت وانما قال اتخذت ﴾ لأن الانثى قد تبنى البيت بنفسها وقد تستولى على بيت آخر فتتخذه بيتاً ولذلك جاءت كلمة اتخذت بدلاً من بنت .

ان الحق عز وجل ميز العناكب بأعظم ، ديب فريزر ، فهى تستطيع ان تحتفظ بلحم فريستها أسابيع دون ان يفسد والتى تزيد عن حاجتها بطريقة تخدير الفريسة حيث تفرز مادة تخدر الفريسة دون ان تميتها فيبقى غذاؤها طرياً وطازجاً لحين استهلاكه وتخدير الفريسة يكون بتخدير أعصاب الحركة دون أعصاب الحس فالفريسة تتألم ولكنها لا تستطيع ان تتحرك أو تهرب وصدق الله العظيم إذ يقول ان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون .

ومن عجيب صنع الله فى العنكبوت أنه يتغذى على الذباب ولذلك يقول الحكماء احرص الأشياء الذباب واقنع الأشياء العنكبوت فجعل الله عز وجل رزق اقنع الأشياء فى احرص الأشياء فسبحان الله اللطيف الخبير .

دعاء الأسد .. فى زئيره

(٢٥)

الأسد من جنود الله الكثيرة التي لا يعلمها إلا رب واحد هو الله عز وجل الواحد .. أنه ملك الغابة .. وقد منحه الله صفات عديدة منها أنه يصبر على الجوع والعطش وعنده عفة نفس .. حيث يقول العلماء : أنه لا يعاود فريسته أبداً ولا يأكل من فريسة غيره . ولا يشرب أبداً من ماء ولغ فيه كلب !! فسبحان من ألهمه هذا .. وأعطاه هذه الصفات .

والأسد لديه شجاعة وجبن وكرم .. فأما شجاعته فهى الأقدام على الأمر وعدم الأكتراث بالغير .

ومن جبنه ان يفر حينما يسمع صوت الديك ويتحير عند رؤية النار .

ومن كرمه ان الأسد لا يقرب الانثى أبداً إذا كانت حائطاً .

وفى كتاب الحلية لأبى نعيم الاصفهانى أن ثور بن يزيد رضى الله عنه قال : بلغنى ان الأسد لا يأكل إلا من أتى محرماً ، وارتكب الكثير من الفواحش .

وروى الحافظ المنذرى عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال : اتدرون ماذا يقول الأسد فى زئيره ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : أنه يقول : اللهم لا تسلطنى على أحد بالمعروف !!

وروى أنه لما تلا رسول الله ﷺ ، والنجم إذا هوى ، قال عتبة بن أبى لهب : كفرت برب النجم فقال رسول الله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك ينهشه يارب العالمين فخرج مع أصحابه فى عير الشام حتى إذا كانوا بمكان يقال له الزرقاء ، زار الأسد فجعلت فرائصه ترتعد ، فقالوا له : من أى شئ ترتعد فرائصك ، فوالله ما نحن وأنت إلا سواء ؟

فقال : إن محمداً قد دعا على والله ما اظلمت السماء من ذى لهجة أصدق من محمد ، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ، ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم بمتاعهم وجعلوه بينهم ، وناموا ، فجاء الأسد يتهمس وشمهم رجلاً رجلاً حتى انتهى إلى عتبة ، فضغطه ضغطة كانت اياها فسمع وهو يقول ياقوم : ألم أقل لكم ان محمداً أصدق الناس .

الديك .. يعدل بين زوجاته (٢٦)

والديك من مخلوقات الله التي تسبح بحمده . يقول عنه الإمام الدميري في كتابه " حياة الحيوان " ان أعظم ما أودعه الله فيه معرفة الأوقات الليلية . فيسقط أصواته عليها تقسيطاً لا يكاد يغادر منه شيئاً . سواء طال أو قصر . ويوالي صياحه قبل الفجر وبعده . فسبحان الله الذي هداه لهذا .

ولذلك فقد أفتى بعض العلماء بجواز اعتماد الديك المجرب في أوقات الصلوات . ومن شأن الديك أنه لا يحنو على ولده ولا يألف زوجة واحدة ، وهو أبله الطبيعة وذلك أنه إذا سقط من حائط من لم يكن هداية ترشده إلى دار أهله .

وفي الديك أيضاً خصال حميدة من بينها أنه يسوى بين زوجاته ولا يؤثر واحدة على واحدة إلا نادراً فسبحان من علمه هذا ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يسافرون بالديكة لتعرفهم أوقات الصلاة وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال : إذا سمعتم نهاق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطاناً .

ويروى الثعلبي ان النبي ﷺ قال ثلاثة أصوات يحبها الله تعالى : صوت الديك ، وصوت قارىء القرآن ، وصوت المستغفرين بالاسحار .

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن زيد بن خالد الجهمي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : لا تسبوا الديك ، فإنه يوقظ إلى الصلاة وفي رواية أخرى فإنه يدعو إلى الصلاة وفي هذا دليل على ان كل من استفيد منه خير لا ينبغي ان يسب ويستهان به ، بل حقه ان يكرم ويشكر ويتلقى بالاحسان .

الحدأة .. الخطافة



تعالوا معي - لنتعرف علي بديع صنع الله في الحدأة أنها تناجى ربها فى صباحها وتقول : كل شئ هالك إلا وجهه !

وتتميز عن غيرها بأنها تقف فى الطيران وليس ذلك لغيرها من الكواسر .

والحدأة تبيض بيضتين . وربما باضت ثلاثا . وخرج منها ثلاثة أفراخ . وتحضن ٢٠ يوما . وهى لا تصيد أبدا وإنما تخطف .

ويقول الدينورى فى كتابه « المجالسة » إن الحدأة من أحسن الطير مجاورة لما جاورها من الطير ، فلو ماتت جوعا لا تعدوا على فراخ جارها . . فسبحان الله الذى ألهمها هذا .

ويقول رواة الأخبار إن السبب فى صياح الحدأة أثناء سفادها « تكاثرها » إنها جاءت لنبى الله سليمان وزعمت أن زوجها قد جحد ولدها منه ، فقالت : يا نبى الله قد سفدنى حتى إذا حضنت بيضى وخزج منه ولدى جحدنى !

فقال سليمان عليه السلام للذكر : ما تقول ؟ فقال يا نبى الله إنها تحوم البرارى ولا تمتنع من الطير ، فلا أدرى أهو منى أو من غيرى ! قال : فأمر سليمان عليه السلام بإحضار الولد فوجده شبه والده فألحقه به !

ثم قال لها نبى الله سليمان : لا تمكنيه أبدا حتى تشهدى عليه ذلك الطير لئلا يجحد بعدها ، فصارت إذا سفدها صاحت وقالت : يا طيور إشهدوا إنه سفدنى !

ومن طبع الحدأة أنها لا تخطف إلا من يمين من تخطف منه دون شماله ، حتى إن بعض الناس يقول إنها عسراء ، لأنها لا تأخذ من شمال إنسان شيئا !

ويروى القشيرى فى كتابة الرسالة عن شبل المروزى : إنه اشترى لحما بنصف درهم فاستلبته منه حدأة ، فدخل شبل مسجدا يصلى فيه ، فلما رجع إلى منزله قدمت له زوجته لحما .

فقال لها : من أين لكم هذا ؟!

فقالت : تنازعت حدأتان . . فسقط هذا منهما . فقال شبل : الحمد لله الذى لم ينس شبلا ، وإن كان شبل ينساه .

حكاية .. طائر لا يبيض

(٢٨)

عندما تنظر إلى الخفاش تتأمل طلاقة قدرة ربك عز وجل .. فهذا المخلوق لا يبصر في النهار أبدا ولذلك نرى خروجه بحثا عن رزقه بعد المغرب مباشرة لأنه وقت هيجان البعوض حيث يخرج هو الآخر يطلب قوته وهو دماء الحيوان .. والخفاش يخرج طالبا الطعم فيقع طالب رزق على طالب رزق .. فسبحان الحكيم الذى يرزق كل الدواب.

والخفاش ليس من الطير فى شئ ، فإنه ذو أذنين وأسنان وخصيتين ومنقار ويحيض ويطهر ويضحك كما يضحك الإنسان ويرضع ولده ولا ريش له .

يقول بعض المفسرين : لما كان الخفاش هو الذى خلقه عيسى بن مريم - عليه السلام - بإذن الله تعالى كان مباينا لصنعة الخالق ولهذا نرى أن سائر الطيور تقهره وتبغضه فما كان منها يأكل اللحم أكله وما لا يأكل اللحم قتله ، فلذلك لا يطير إلا ليلا !

والخفاش من أطول الطيور عمرا ، فيقال إنه أطول عمرا من النسر ومن الحمار الوحش وتلد أنثاه ما بين ثلاثة أفراخ وسبعة وكثيرا ما يسفد وهو طائر فى الهواء . وليس فى الحيوان ما يحمل ولده غيره والقرد والإنسان ويحمله تحت جناحه وربما قبض عليه بفيه وذلك من حنوه واشفاقه عليه .

روى الحافظ بن عساكر فى تاريخه أنه قال : كتب رجل إلى ابن عباس - رضى الله عنهما - يسأل عن شئ ليس له لحم ولا دم تكلم ، وعن شئ ليس له لحم ولا دم سعى، وعن شئ ليس له لحم ولا دم تنفس ، وعن اثنين ليس لهما لحم ولا دم خوطبا واجابا ، وعن رسول بعثه الله ليس من الإنس ولا من الجن ولا من الملائكة وعن نفس ماتت ثم عاشت بها نفس غيرها وعن طائر لا يبيض ويحيض .

فقال : الأول النار ، قالت هل من مزيد ، والثانى هى عصا موسى ، عليه السلام الثالث الصبح ، والرابع السموات والأرض .

﴿ قالتا أتينا طائعين ﴾ ، والخامس الغراب الذى بعثه الله إلى أدم ، والسادس البقرة التى ذكرها الله تعالى فى القرآن والطير هو الخفاش الذى نفخ فيه عيسى ابن مريم - عليه السلام - فكان طائرا بإذن الله عز وجل .

القنفذ .. صاحب « قتادة »

(٢٩)

والقنافذ يطلقون عليها العساعس لكثرة ترددها بالليل ويقول الدميرى فى كتابه حياة الحيوان : إنها إذا جاعت تصعد الكرم فتقطع عناقيد العنب . وترمى بها على الأرض . ثم تنزل فتأكل منها ما تحتاجه . فإذا كان لها أولاد تمرغت على هذا العنب ليشتبك فى شوكه . ويذهب به إلى أولاده !

والقنفذ مولع بأكل الأفاعى ولا يتألم بها ، وإذا لدغته الحية أكل نباتا بريا فيبرأ ، وله خمسة أسنان فى فمه . . فسبحان الله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى .

ويروى الإمام الطبرانى فى المعجم الكبير عن قتادة بن النعمان قال : كانت ليلة شديدة العتمة والظلمة والمطر ، فقلت لو أنى اغتنمت الليلة شهود العتمة مع رسول الله ﷺ ففعلت ، فلما رأنى رسول الله ﷺ قال : قتادة ؟ قلت : لبيك يا رسول الله علمت إن شاهد الصلاة فى هذه الليلة قليل ، فأحببت أن أشهدها معك . . فقال رسول الله ﷺ ، إذا انصرفت فائتنى ، فلما فرغت من الصلاة أتيت إليه ، فأعطانى عرجونا كان فى يده ، وقال : هذا يضئ أمامك عشرا ، ومن خلفك عشرا . . ثم قال ﷺ : « إن الشيطان قد خلفك فى أهلك ، فإذهب بهذا العرجون فاستضئ به حتى تأتى بيتك فتجده فى زاوية البيت فاضربه بالعرجون .

قال : فخرجت من المسجد فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به ، وأتيت أهلى فوجدتهم قد رقدوا فنظرت إلى الزاوية فإذا فيها قنفذ فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج .

ويذكر الأبشيهى فى كتابه « المستطرف من كل من مستطرف » إن القنفذ مخلوق عجيب منحه الله عز وجل خمسة أرجل ، بينما أعطى الله الإنسان رجلين فقط وصدق الله العظيم إذ يقول : والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على أربع يخلق الله ما يشاء .

الضب .. يعيش على النسيم



تعالى معى لنتأمل بديع صنع الله عز وجل فى الضب ؟

الضب حيوان برى يعيش في الجزيرة العربية . . ومن طبائعه إنه لا يشرب الماء . ويعيش ٧٠٠ عام فصاعدا . وبالإضافة إلى هذا إنه يبول مرة كل ٤٠ يوما . ولا تسقط له سن . ويقال إن أسنانه قطعة واحدة ليست مفرقة .

ويذكر الإمام عبد القاهر الجرجانى فى « أسرار البلاغة » أن الضب دويبة على حد فرخ التمساح الصغير وذنبه كذنب التمساح ، وهو يتلون ألوانا بحر الشمس كما تتلون الحرباء .

وقد أسند ابن أبى الدنيا فى كتابه « العقوبات » إلى أنس بن مالك « رضى الله عنه » قوله : إن الضب ليموت فى جحره هزالا من ظلم ابن آدم .

وإذا أرادت الضبة أن تخرج بيضها ، حفرت فى الأرض حفرة ، ورمت فيها البيض ، وتتعاهدها كل يوم حتى يخرج وذلك فى ٤٠ يوما ، وهى تبيض سبعين بيضة يشبه تماما بيض الحمام .

والضب يخرج من جحره كليل البصر . . فيجلوه بالتحديق للشمس ، ويتغذى أحيانا على النسيم ، ويعيش ببرد الهواء عند الكبر . وبينه وبين العقارب مودة ، فلذلك يؤويها فى جحره لتلسع المتحرش به إذا أدخل يده لأخذه !

وقد ألهمه ربه عز وجل أن يبنى بيته داخل الحجارة خوفا من السيل فسبحان الذى خلق كل شئ وقدره تقديرا ، وفى طبعه النسيان وعدم الهداية ولذلك يضرب به المثل فى الحيرة .

بالإضافة إلى هذا فإن الضب يوصف بالعقوق لأنه يأكل كل ما يقابله إذا كان جائعا حتى ولو كان ضبا مثله ، كما أنه لا يخرج من بيته أبدا فى فصل الشتاء .

وقد أمر النبى ﷺ بأكل الضب . وقال : كلوه فإنه حلال ، ولكن ليس من طعامى.. صدقت ياسيدى يا رسول الله .

عندما .. دعا النبى على الجراد



انظر إلى الجراد جيدا . . وتأمل بديع صنع الله !

ستجد أن في الجراد خلقة عشرة من جبابرة الحيوان . فهو له وجه فرس وعينا فيل . وعنق ثور . وقرنا أيل . وصدر أسد وبطن عقرب وجناحا نسر . وفخذا جمل . ورجلا نعامة . وذنب حية . فسبحان الله الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى .

والجرادة لها ست أرجل : يدان فى صدرها ، وقائمتان فى وسطها ، ورجلان فى مؤخرها ، وطرفا رجليها منشاران . وهو من الحيوان الذى ينقاد لرئيسه ، فيجتمع كالعسكر إذا ظعن أوله تتابع جمعية ظاعنا ، وإذا نزل نزل جميعه ، وفضلا عن ذلك فإن لعابه سم ناقم للبنات لايقع على شئ إلا أهلكه .

وقد روى الطبرانى والبيهقى أن النبى ﷺ قال : اللهم اهلك الجراد ، أقتل كبارها وأمت صغارها ، وأفسد بيضها ، وسد أفواهها عن مزارع المسلمين ومعايشهم إنك سميع الدعاء ، فجاء جبريل – عليه السلام – وقال : إنه قد استجيب لك فى بعضه .

ولقد تحدث القرآن الكريم عن الجراد فى أكثر من موضع من بينها قوله تعالى : ﴿ يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ أى فى كل مكان ، وأنهم حيارى فزعون لا يهتدون ، ولا جهة لأحد منهم يقصدها . ذلك لأن الجراد لا جهة له .

ويذكر الإمام الأوزعى – رضى الله عنه – إنما مثل الشياطين فى كثرتهم كمثل رجل دخل زرعا فيه جراد كثير ، فكلما وضع رجله تطاير الجراد يمينا وشمالا ، ولولا أن الله عز وجل غض البصر عنهم ما رؤى شئ إلا وعليه شيطان .

فى القــرآن

أخلص نيـتك لله .. يؤيـدك الله بنصـره ويقف إلى جـوارك ومن يقف معه ويؤيده ربه .. فلن يخيب أبدا ..

أصلح ما بينك وبين الله يصلـح الله لك كل شئ . ومن عصي الحق عز وجل فيك .. فلا تعامله بأكثر من أن تطيع الله فيه .

اجعل هذا القرآن العظيم - الذي نزل على قلب سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم - هو دينى وديدانك . عمر به قلبك نور به بصيرتك واجعله سميرك في الليل والنهار . وتأكد أن أسـرار القرآن عديدة .. ولا تحصى .. فقط اطلب منك الله أن يمنحك المفتاح الذى يوصلك إلى كنوز القرآن .

يروى لنا ابن الجوزى عن ميمونة بنت شاقولة البغدادية رضى الله عنها أنه كان فى دارها حائط كاد أن يسقط وله جوف : فقالت لابنها : هات رقعة ودواة ، فلما أعطاهما لها كتبت فى الرقعة شيئا وقالت : دعه فى ثقب منه ، أى من الجدار ، ففعل فبقى نحوا من عشرين سنة ، فلما ماتت ذكرت ذلك القرطاس فقمت فأخذته فوقع الحائط فإذا فى الرقعة : إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعده .. يا ممسك السماء والأرض أمسك حائطى !!

يقول أبو حامد الغزالى رضى الله عنه : وهذه الحروف التى فى أوائل السور جعلها الله حفظا للقرآن من الزيادة والنقصان قال الله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ ويقول ذكر بعضهم أنه وقف على أن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه كان يكتبها على ما يريد حفظه من الأموال والمتاع .. فيحفظ بإذن الله رب العالمين .

وحكى عن الإمام الشافعى رضى الله عنه أنه اشتكى إليه رجل من مرض الرمد ..

، شفانا الله جميعا وشفى مرض المسلمين ، فكتب الشافعي إليه في رقعة : بسم الله الرحمن الرحيم : فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد (سورة ق) .

قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء .. والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى ، أولئك ينادون من مكان بعيد (سورة فصلت) .

فعلق الرجل ذلك عليه فبرأ .

الحياة الدنيا :

وكان سفيان : يكتب للمطلقه [التى تعانى من آلام الولادة] التى يأتيها طلق الولادة رقعة تعلق في رقبتها على قلبها تضم قوله تعالى :

- إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت . « سورة الانشقاق » .
- فاخرج منها فإنك رجيم « سورة الحجر » .
- فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون أنه لذو حظ عظيم « سورة القصص » .

وروى ابن قتيبة قال : كان رجل من الصالحين يحب الصلاة بالليل لكنها كانت تثقل عليه فلا يستطيع أن يصلى صلاة التهجد فشكا ذلك لبعض الصالحين فقال :

إذا أويت إلى فراشك فاقرأ : قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى إنما إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً . « آخر سورة الكهف » .

ثم أضمر « حدد في نفسك وقتا للاستيقاظ من النوم » فإنك تقوم فيه يقول : ففعلت فقمت في الوقت المعين .

ويقول أبو حامد الغزالي : وكان بعض الصالحين في أصبهان إصابه عسر في البول ، فكتب في صحيفة :

- البسملة .
- وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا « سورة الواقعة » .

● وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة » سورة الحاقة » .

● دكا .. دكا » سورة الفجر » . **[التى تعانى من ألام الولادة]**

ويحكى أن الشيخ أبا القاسم القشيرى رضى الله عنه رأى سيدنا رسول الله ﷺ فى المنام ، فقال له رسول الله ﷺ : مالى أراك محزونا ؟

فقال يا رسول الله : ولدى قد مرض واشتد عليه المرض ، فقال له : أين أنت من آيات الشفاء :

● ويشف صدور قوم مؤمنين .

● فيه شفاء للناس إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون .

● وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين .

● وإذا مرضت فهو يشفين .

● قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء ، فقرأ عليه هذه الآيات ثلاث مرات فشفاه الله سبحانه وتعالى .

وهذا النوع لن ينتفع به إلا من أخلص قلبه وتدبر الكتاب العظيم فى عقله وسمعه وعمر به قلبه وعملت به جوارحه وجعله سميره فى ليله ونهاره هنالك تأتيه الحقائق من كل جانب وإن لم يكن بهذه الصفة كان فعله مكذبا لقوله : كما روى أن عارفا وقعت له واقعة ، فقال له صديق : نستعين بفلان فقال : أخشى أن تبطل صلاتى التى تقدمت هذا الأمر وقد صليتها ، فقال صديقه وأين هذا من هذا ؟ قال لأنى قلت إياك نعبد وإياك نستعين فإن استعنت بغيره كذبت والكذب فى الصلاة يبطلها .

بسم الله الرحمن الرحيم

أرجوك .. قل " بسم الله الرحمن الرحيم " .. لا تقلها بلسانك فقط. ولكن قلها بعضلة القلب وتأكد أنها تيجان السور .. وبركة البركات .. تضمنت جميع الشرع لأنها تدل على الذات وعلى الصفات للحق سبحانه وتعالى .

وقد أعطى الله البسملة لثلاثة أنبياء فقط هم :

- سيدنا سليمان عليه السلام « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم .. ألا تعلو علىَّ وأتونى مسلمين » .
- سيدنا نوح عليه السلام « وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها » .
- سيدنا محمد ﷺ فهى على رأس ١١٣ سورة فى القرآن الكريم .

عندما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم على المصطفى ﷺ هرب الغيم إلى المشرق ، وأصغت البهائم بآذانها ، ورجمت الشياطين فى السماء وهللت الملائكة فى عالم الملكوت الأعلى ، وحلف الله عز وجل بعزته وقدرته ألا يذكر اسمه على شئ إلا بارك فيه .

إن الحق عز وجل أنزل على أنبيائه ورسله ١٠٤ كتب جمعها فى كتب أربعة هى التوراة والإنجيل والقرآن والزبور ، وجمع هذه الكتب الأربعة فى كتاب واحد هو القرآن الكريم ، وجمع القرآن الكريم كله فى سورة واحدة هى « الفاتحة » وجمع سورة الفاتحة فى آية واحدة هى بسم الله الرحمن الرحيم .

اذكروا اسم الله :

إن المصطفى عليه السلام يأمرنا بأن نذكر اسم الله على كل شئ ، ويحذرنا من مغبة عدم ذكر الله حيث يقول « كل شئ لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر (منزوع البركة) ويقول ﷺ أيضا : « إن الشيطان ليستحل الطعام إلا يذْكر اسم الله عليه » .

وروى الطبرانى أنه لن يدخل أحد الجنة إلا بجواز بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من الله تعالى لفلان بن فلان : أدخلوه جنة عالية ، قطوفها دانية ، فإذا دخل أهل الجنة الجنة يقولون : ﴿ الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين ﴾ .

وإذا دخل أهل النار النار – اللهم وألطف بنا جميعا يا أرحم الراحمين – يقولون ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ .

عندما ننظر إلى بسم الله الرحمن الرحيم نجد أنها أربع كلمات والذنوب التى نفعلها أربعة : ذنوب بالليل وذنوب بالنهار ، وذنوب فى السر ، وذنوب فى العلن ، فكأن المؤمن إذا قال البسملة مخلصا من قلبه غفرت كل كلمة ذنبا فى وقت من الأوقات بإذن الله رب العالمين .

لا تقل تعس *الشيطان* :

هذا سيدنا رسول الله ﷺ ومعه صحابى جليل وكان ﷺ راكبا دابة له ، فعثرت الدابة ، فقال الصحابى : تعس الشيطان . فقال له ﷺ : لا تقل تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال : صرعته بقوتى ، ولكن قل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ، فإنك إذا قلت ذلك تصاغر الشيطان حتى يصير كالذبابة .

وهذا هو سيدنا على بن أبى طالب كرم الله وجهه استضافته امرأة ليقرأ القرآن فى بيتها ومعه نفر من الصحابة ، فذهب وقرأ : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم . صدق الله العظيم .

فاشتكت المرأة لسيدنا رسول الله ﷺ فقال لعلى : لماذا لم تقرأ ؟

قال على : لما قرأت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم نظرت حونى فوجدت رحمة الله عز وجل قد ملأت الكون كله ، فقلت صدق الله العظيم .

نسأل الله أن يعلمنا وأن ينفعنا بما يعلمنا ، إنه نعم المولى ونعم النصير وبالإجابة جدير .

الفهرست

رقم الإيداع
١٧٤٨١ / ٩٩

الدكتور محمد وهدان

ولكن لا تفقهون تسبيحهم